طُرقُ الخَيرِ

من الكتاب والسُّنَّة

كتاب يهم كل مسلم

إعداد

محمد الدسوقى محمد

المدرس بالأزهر الشريف

والخطيب بوزارة الأوقاف

تحقيق

طارق أبو هشيمة

هلا للنشر والتوزيع

بطاقة فهرسة

الدسوقى، محمد.
طرق الخير من الكتاب والسنة، كتاب يهم كل مسلم
محمد الدسوقى.- ط١- الجيزة : دار هلا
للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ .
ص؛ ٢٤سم.
تدمك ٥ ٢٩٠ ٣٥٦ ٩٧٧
١ - الأخلاق الإسلامية
٢- الخير والشر
أ- العنوان ٢١٢

اسم الكتاب : طرق الخير من الكتاب والسنة كتاب يهم كل مسلم.
تأليف : محمد الدسوقى محمد
تحقيق : طارق أبو هشيمة
الناشر : هلا للنشر والتوزيع
: 6 شارع الدكتور حجازى الصحفيين - الجيزة
تليفون : 33041421 فاكس : 33449139
الموقع الإلكترونى : www.halapublishing.net
البريد الإلكترونى : hala@halapublishing.net
مدير التسويق : hazim@halapublishing.net
رقم الإيداع : 2007/16687
الترقيم الدولى : 5 - 290 - 356 - 977
تصميم الغلاف : خالد الصواف.
طباعة : هلا للنشر والتوزيع
طبع وفصل الألوان : هلا للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
1429 هـ 2008 م
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

مدخل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3]، والصلاة والسلام على من دعا إلى الخير بأفعاله قبل أقواله وقال فى حديثه: «الدَّال على الخير كفاعله».

وبعد...

فقد خلق الله النفس وجعل فيها فطرة طيبة تهفو إلى الخير وتُسَرُّ بفعله وتأسى للشر وتحزن من ارتكابه، وكذلك فإن فى النفس نزعات طائشة تزين لها فعل الشر، والإنسان مصيره مُعلَّق بالجهة التى تتبناها نفسه ويرتاح لها قلبه، وقد بيَّن الحق جل وعلا فى كتابه طبيعة النفس وما فيها من تقوى وصلاح جُلبت عليه، أو إثم وفجور ركنت إليه فقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾[4] .

ومعنى قوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ – والله أعلم – أى: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال سبحانه فى آية آخرى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[5]، وقال ﷺ: «كل مولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...». ولكن ما الذى غيَّر هذه الفطرة وشوهها؟ جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ – ٧١ .
(٤) سورة الشمس، الآيات: ٧ – ١٠ .
(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

عز وجل: «إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم». فالشياطين والبيئة الفاسدة هما من غيَّرا هذه الفطرة النقية وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾؛ أى: فأرشدها إلى فجورها وتقواها. قال ابن عباس: بين لها الخير والشر، وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر. وبعد هذا البيان لطبيعة النفس أرشدنا إلى التعامل معها بتربيتها على فعل الخير والتزكية الطيبة فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ قال ابن كثير: يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أى بطاعة الله. وقال قتادة: أى طهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . وقد خاب من دساها؛ أى: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله عز وجل.

وقال سبحانه وتعالى وهو يبين لنا ما خلق عليه الإنسان: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[١] قال القرطبى: يعنى الطريقين طريق الخير وطريق الشر، وكذلك قال ابن كثير فى الآية أى بينا له طريق الخير وطريق الشر. وهذا قول الجمهور وكذلك قال سبحانه في آية أخرى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢] أى بيناه ووضحناه وبصرناه، بيَّنا له طريق الخير وطريق الشر[٣] .

فمن ذلك نعلم أن الإنسان بطبيعته يتنازعه أمران:

الأول: الفطرة التى فطر الله عليها الإنسان من الاستسلام لله، ومحبة التعبد له والتقرب إليه، ومحبة ما يحبه الله من الحق والخير والصدق، وبغض ما يبغضه الله من الباطل والشر والجور والظُلم، وما يتبع ذلك من دواعى الفطرة من محبة الأهل والولد والمال والرغبة فى الأكل والشرب والنكاح وما إلى ذلك عن طريق الخير.

الثانى: مشيئة الإنسان واختياره، وقد أرسل الله إليه الرسل وأنزل الكتب ليميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال. والخير والشر، وأمده بالعقل والفهم

---

(١) سورة البلد، الآية: ١٠ . (٢) سورة الإنسان، الآية: ٣ .

(٣) راجع تفسير الآية، ابن كثير (٥٨٢/٤) .

ليكون على بصيرة فى اختياره فإن شاء سلك طريق الخير فقاده إلى الحق والهدى وإن شاء سلك سبل الشر فقادته إلى الشر والبوار[1] .

والله سبحانه وتعالى ألقى العداوة بين الخير والشر، بين الشيطان والملك، والعداوة بين العقل وبين الهوى، والعداوة بين النفس الأمَّارة وبين القلب، وابتلى الله العبد بذلك وجمع له بين هؤلاء وأمد كل حزب بجنود وأعوان فلا تزال الحرب سجالاً ودولاً بين الفريقين إلى أن يستولى أحدهما على الآخر، ويكون الآخر مقهورًا معه، فإذا كانت النوبة للقلب والعقل والملك فهناك السرور والنعيم واللذة والبهجة والفرح وقرة العين وطيب الحياة وانشراح الصدر، والفوز بالغنائم، وإذا كانت النوبة للنفس والهوى والشيطان، فهناك الغموم والهموم والأحزان وأنواع المكاره. وضيق الصدر[2] .

وليعلم الإنسان أن من شر الشيطان أنه يقعد لابن آدم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير إلاَّ والشيطان مُرْصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه فإن خالفه وسلكه ثبطه فيه وعوَّقه وشوَّش عليه بالمعارضات والقواطع، فإنْ عمله وفرغ منه قيد له ما يبطل أثره ويرده[3] ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن ينتبه الإنسان لعدوه الأول وليحذره وليخالفه فيما يريد.

والله عز وجل قد نبَّه العبد لذلك العدو وما يريده فقال سبحانه حكاية عن وعيده لبنى آدم: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال المفسرون: صراطك المستقيم أى: طرق الحق وسبيل النجاة لأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك[4]. ثم قال سبحانه عن أفعاله وأعماله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[5] اختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم. والله سبحانه وتعالى وحاشاه أن يترك خلقه وعبيده هكذا فأرسل سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الشرائع التى من خلالها تُقَوَّم النفس وتُرَدُّ الفطرة إلى طبيعتها.

والإسلام بعقيدته وشريعته يعيد بناء هذه الفطرة لخالقها، بتوحيده وحسن

---

(١) الإسلام أصوله ومبادئه بتصرف.

(٢) الفوائد للإمام ابن القيم، ص ٦٠ .

(٣) من بدائع الفوائد ص (٢/٤٨٢) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٣) .

(٥) سورة الأعراف، الآية : ١٧ .

عبادته وفعل أمره واجتناب نهيه قال سبحانه: ﴿... واذْكُرُوا نِعْمت اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾[1] فالكتاب القرآن الكريم والحكمة السنة، اللذان بين لنا بهما طرق الخير ورغبنا فيها، وطرق الشر التى حذرنا إياها.

وأمر سبحانه وتعالى عباده بفعل الخير الذى هو ضد الشر فقال عز من قال: ﴿... وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] .

إنه باب واحد للفلاح هو باب الخير الذى يجب أن يطرقه كل من آمن بالله فالمؤمن ينبغى له أن يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها فى الكتاب والسنة فيلتمسها، ويعرف الشرور الواقعة ومراتبها فى الكتاب والسنة فيجتنبها،قال ابن تيمية - رحمه الله -: والمؤمن ينبغى له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها فى الكتاب والسنة كما يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها من الكتاب والسنة؛ فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة والتى يراد إيقاعها من الكتاب والسنة ليقدم ما هو أكثر خيرًا وأقل شرًا على ما هو دونه، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما .... **ثم قال رحمه الله: فالعلم بالخير سبب إلى فعله والعلم بالشر سبب إلى منعه هذا مع حسن النية فى العمل**[3] .

ومن هنا كان هذا الكتاب (طرق الخير) الذى أردنا من خلاله أن نلتمس طرق الخير التى أُمِرْنا بها والتعرف عليها من أجل الوصول إلى رضا خالقنا سبحانه وتعالى، وقد بدأت كتابته وأنا أنوى الخير وأبغى من ورائه أن يكون دليلاً للمسلم كى يلتمس هذه الطرق ويتتبعها، وحسبنا هذه النية فقد قال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه يومًا: أوصنى يا أبت، فقال: «يا بنى انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير»[4]. ولما نظرت فى الخير فإذا هو جماع الدين كله فقد جاء فى كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - عن مطرف قال: «تذكرت ما جماع الخير فإذا الخير كثير ثم عدد - رحمه الله - الصوم والصلاة ... إلخ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١ .
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٧ .
(٣) قاعدة فى المحبة.
(٤) الآداب الشرعية.

وقال الإمام على - كرم الله وجه - ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر عملك، وأن يعظم حلمك، وأن تبادر فى عبادة ربك. وجاء فى كتاب الزهد الكبير للبيهقى: قال الحسن - رحمه الله -: «الخير كله فى هذين: الأخذ بما أمرتم به والنهى عما نهيتم عنه.

فقمت بفضل الله - عز وجل - وعونه إلى تقسيم طرق الخير كما جاءت فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فجعلت الكتاب ستة فصول تناولت فى الفصل الأول مفهوم الخير وطرقه من الكتاب والسنة، ثم انتقلت إلى أول طرق الخير والتى هى سبب الفلاح والنجاح والتى بدونها لا يقبل عمل للإنسان فكان الفصل الثانى الذى تناولت فيه الإيمان بالله وأركانه بإيجاز، ثم انتقلت إلى الفصل الثالث وتناولت فيه أَجَلَّ طرق الخير بعد الإيمان بالله وهى عبادته كما أمر سبحانه فكان هذا الفصل خاصًا بالعبادات، ثم بعد ذلك انتقلت إلى الفصل الرابع وذكرت فيه جملة من الأخلاق التى أمرنا الشرع بها، ثم كان الفصل الخامس وتعرضت فيه لجملة من أعمال القلوب التى لا غنى لمن عَمُرَ قلبه بالإيمان عنها، ثم ختمت الكتاب بالفصل السادس وتناولت فيه جملة من أعمال اللسان.

وأريد التنبيه على مسائل مهمة:

١- المقصد من الكتاب هو بيان معنى الخير وطرقه المختلفة حتى يتيسر للمسلم أن يتبعها فيكون الفوز والفلاح إن شاء الله.

٢- لا نَدَّعِى أننا قد ذكرنا كل طرق الخير فهذا جهد شاق ولكننا بينا بعض هذه الطرق لمن يسأل أين الخير؟ وكيف؟

٣- فى تناولى لفصلى العقيدة والعبادات لم أُفَصِّل القول باتساع فذلك له كتبه الخاصة، ولكنى ذكرت ما ينبغى على المسلم اعتقاده ومسائل العقيدة كثيرة ومتفرعة، وكذلك لم يكن مقصدى فى العبادات تفصيل الأحكام أو التعرض لأقوال الفقهاء فهذا أيضًا له كتبه المعنية به، ولكن كان المقصد أن أذكر الباب من الخير فيطرقه المسلم وأبين له فضائله.

٤- فى تناولى لكثير من الموضوعات لم أتمثل الاستطراد فليس هذا هدف

الكتاب، وإنما كنت أتمثل الإيجاز كى أقوم بذكر أكثر طرق الخير التى ينبغى أن يتعارف عليها المسلمون.

هذا وكم وددت أن أُطيل فى هذه المقدمة بذكر الآثار فى معنى الخير، وكذلك الأدلة والآراء، ولكنى خشيت أن يسأم القارئ فيمل الكتاب.

هذا وإن كان من توفيق فمن الله وحده، وإن كان من خطأ أو سهو فمن نفسى أو الشيطان أسئل الله العافية، كما أسأله أن يرزقنا الإخلاص وأن يدخر لنا الأجر عنده يوم نلقاه، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يعيننا على أن نحول الكلمات إلى أفعال وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يبارك فى كل من ساهم فى نشر الخير وبيان طرقه للناس، إنه خير مسئول. وأكرم مأمول.

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٨٦).

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الأمين

كتبه الفقير إلى عفو ربه ورحمته

محمد الدسوقى محمد إبراهيم

المدرس بالأزهر الشريف

والخطيب بوزارة الأوقاف



الفصل الأول

الخير - مفهومه - طرقه



الفصل الأول

الخير - مفهومه - طرقه

كلمة الخير من الكلمات الطيبة التى ترتاح لها النفس عند سماعها، ويتأثر بها الإنسان عندما يراها ويسعد بها، ويتمنى أن يكون من أهلها.

- والخَيْرُ فى اللغة: ضد الشر وجمعه خُيُورٌ.

قال النَّمِرِ بن تولب: «ولاقيت الخُيُور وأخطأتنى خُطوبٌ جَمَّةٌ»[1] .

وجاء فى الصحاح أيضًا الخَيْرُ: ضِدُّ الشر، وفى معجم مقاييس اللغة: خلاف الشر.

والخير: هو العمل الذى يرضاه الله.

ومن تتبع معانى كلمة الخير المختلفة فى الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يمكن أن يقول فى مفهومه اصطلاحًا: هو اسم جامع لكل الطاعات والأعمال التى يرضاها الله، والقربات التى يتقرب بها العبد لربه.

القرآن الكريم والدعوة لفعل الخير:

ومَنْ يتدبر القرآن الكريم يجد أن الله - عز وجل - أمر بالمبادرة إلى عمل الخير بل والتسابق والتنافس فى فعله.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[2] أى: بادروا إلى كل ما يصدق عليه أنه خير[3] .

وأرشد سبحانه وتعالى أنه يعلم الخير ويحصيه لعباده ويجزيهم عليه، قال تعالى: ﴿... وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[4] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (خير).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٨ .
(٣) زبدة التفسير من فتح القدير .
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٥ .

قال ابن كثير: أى مهما صار منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء فإنه لايظلم أحدًا مثقال ذرة[1].

فمهما كان نوع هذا الخير وحجمه صغيرًا قليلاً أم كبيرًا عظيمًا فإن الله لا يضيعه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[2] .

وروى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة».

وفى مسند الإمام أحمد أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط».

وقال ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرنّ جارةٌ لجارتها ولو فرسن شاة»[3] أى: لو تعطى جارتها القليل من الشاة (فرسن شاة؛ أى: ظلفها).

والمسلم يعمل الخير محتسبًا أجره عند الله تعالى، عالمًا أن الله تعالى يدخر له هذا الأجر ليوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[4] .

قال ابن كثير: ... يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[5] فما رأى من أعماله حسنًا سره ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد.

وقال تعالى:﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[6] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٤٠) .
(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٧ .
(٣) مسند الإمام أحمد: (٥/٦٣) .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٠ .
(٥) سورة القيامة، الآية ١٣ .
(٦) سورة المزمل، الآية: ٢٠ .

أى جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم فى الدنيا[1]، وأراد الله - عز وجل - أن يثير الشوق فى قلوبنا لفعل الخير فقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾[2] .

قال ابن كثير: «تهيجًا على فعل الخيرات وامتثال الأمر، وأن الله عز وجل عالم بجميع ذلك وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه».

السُّنَّة النبوية والدعوة إلى فعل الخير:

ومن يتدبر السنة النبوية والأحاديث الصحيحة يلحظ أن رسول الله ﷺ كان حريصًا على فعل الخير بل والدعوة إلى فعله فعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق». قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: «فيعين ذا الحاجة الملهوف». قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فليأمر بالخير - أو قال: بالمعروف -» قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فليمسك عن الشر فإنه له صدقة»[3] .

بل إن رسول الله ﷺ علمنا أن نسأل الله - جل وعلا - جوامع الخير، ونتعوذ به من جوامع الشر، فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ علمها أن تقول: «اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إنى أسألك من الخير ما سألك عبدك ونبيك وأعوذ بك من الشر ما عاذ به عبدك ونبيك، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك أن تجعل كل قضاءٍ قضيته لى خيرًا»[4] .

كما أن رسول الله ﷺ أخبرنا وعلمنا أن نعوِّد أنفسنا على عمل الخير حتى يصبح سجية للنفس وطبيعة لها لا تنفلت عنها:

فعن يونس بن ميسرة قال: سمعت معاوية يحدث عن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٦٤) .
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٧ .
(٣) متفق عليه.
(٤) صحيح ابن حبان جـ٣ برقم (٨٦٩) .

الخيرُ عادة والشر لجاجة من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين»[1]، جاء فى مجمع الأمثال: «جعل الخير عادة لعود النفس إليه وحرصها عليه إذا ألِفَتْه لطيب ثمره وحسن أثره، وجعل الشر لجاجة لما فيه من الاعوجاج ولاجْتِوَاءِ العقل إياه»[2] .

بيان طرق الخير وتنوعها:

ولحرص رسول لله ﷺ على الخير لأمته نراه يُبيِّن لنا أن طرق الخير متعددة ومتنوعة تبدأ بالإيمان بالله حتى تصل إلى إماطة الأذى عن الطريق.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[3] .

وعن أبى ذر جندب بن جُنادة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهاد فى سبيله» قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعًا أو تصنع لأخرق»، قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شَرَّك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»[4] .

وفى تنوع أبواب الخير نراه ﷺ يقول: «يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[5] .

وعن أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «عرضت عَلَىَّ أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماطُ عن الطريق، ووجدت فى مساوئ أعمالها النُّخاعة تكون فى المسجد لا تدفن»[6] .

---

(١) صحيح ابن حبان جـ٢ برقم (٣١٠) .
(٢) مجمع الأمثال جـ١ ، ص ٢٤٧ .
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه مسلم برقم (٧٢٠) .
(٦) رواه مسلم برقم (٥٥٣)

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال لى النبى ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[1]، وقال ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له فى الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»[2] .

وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى البردين دخل الجنة»[3] .

الخيرُ خيرٌ ولو قليل:

علمنا رسول الله ﷺ كما مَرَّ ألا نحقر من المعروف شيئًا فكل معروف ينوى فيه طاعة الله فهو خير مدخر له عند ربه.

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ««كل معروف صدقة»[4].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[5] .

وقصَّ علينا رسول الله ﷺ عن هذا الرجل الذى يُنعَّم فى الجنة بسبب شجرة قطعها كانت تؤذى المسلمين.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس»[6]، وفى رواية: «بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره فشكر الله له فغفر له».

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سُرق له منه صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكل الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحدٌ إلا كان له صدقة»[7] .

وفى رواية: «لا يغرس مسلم غرسًا، ولا يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شىء إلا كان له صدقة».

كما قَصَّ علينا ﷺ عن رجل رأى كلبًا يلهث من شدة العطش فسقاه فغفر الله له.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٢٦). (٢) متفق عليه. (٣) متفق عليه.
(٤) رواه البخارى ومسلم. (٥) متفق عليه. (٦) رواه مسلم برقم (١٩١٤) .
(٧) رواه مسلم برقم (١٥٥٢) .

قال ﷺ: «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»، قالوا: يا رسول الله إن لنا فى البهائم لأجرًا؟ فقال: «فى كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ»[1] وزاد البخارى «فشكر الله له فغفر له، فأدخله الجنة».

وفى رواية: «أن امرأة بغيًا رأت كلبًا فى يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها فغفر لها»[2] .

وصدق الله العلى العظيم إذ يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[3] .

قال مقاتل: نزلت فى رجل كان يأتيه السائل، فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، فنزلت ترغب فى القليل من الخير أن يعطوه[4] .

وجاء فى (الموطأ) أن مسكينًا استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت: أتعجب! كم ترى فى هذه الحبة من مثقال ذرة.

وهذا وإن دل فإنما يدل على عمل الخير قدر الإمكان والاستطاعة ولو بالقليل، وروى عن سعد بن أبى وقاص أنه تصدق بتمرتين، فقبض السائل يده فقال للسائل: ويقبل الله منا مثقال الذر، وفى التمرين مثاقيل ذرة كثيرة»[5] .



---

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم برقم (٢٢٤٥). (٣) سورة الزلزلة، الآية: ٧ .
(٤) تفسير القرطبى بتصرف يسير ٢٠/١٤٠ . (٥) راجع تفسير القرطبى (٢٠/١٤٠).

الحث على الازدياد من الخير فى أواخر العمر:

إذا كان فعل الخير بأنواعه المختلفة وطرقه المتعددة مدعو له فى حياة الإنسان كله، فإن هناك فترة عمرية يُستَحب للمرء أن يبالغ فيها من فعل الخير، وأن يحرص على القرب من خالقه، فإذا بلغ الرجل المشيب أو استشعر بدنو أجله لآفة أو لسبب آخر فما الذى يحول بينه وبين الازدياد من عمل الخير إلا هوى متبعًا أو دنيا مؤثرة أو نفس أمارة، يقول الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[1] . قال ابن عباس والمحققون، معناه: أو لم نعمركم ستين سنة، وقيل: معناه ثمانى عشرة سنة وقيل: أربعين سنة.

ومعنى الآية – والله أعلم بمراده – أى: أو ما عشتم فى الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به فى مدة عمركم؟ [2] .

وروى أن أهل المدينة كانوا إذا بلغ أحدهم أربعين سنة تفرغ للعبادة.

وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة»[3] .

قال العلماء معناه: لم يترك له عذرًا إذ أمهله هذه المدة فيستحب للعبد فى هذه المرحلة العمرية من الإكثار فيها من فعل الخير، حتى يكرمه الله بحسن الخاتمة فيموت على الخير، ويبعث على الخير إن شاء الله.

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»[4] .

وهذا رسول الله ﷺ أسوة المؤمنين وقدوتهم الذى ما ترك بابًا من أبواب الخير إلاَّ وطرقه بل ودلَّ أمته عليه ﷺ، لما أحث رسول الله ﷺ بدنو أجله كان يكثر من الخير فى الذكر وغيره من العبادة.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٧ .
(٢) تفسير ابن كثير، (جـ٣/٣٤٥) .
(٣) رواه البخارى في الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر.
(٤) رواه مسلم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى رسول الله ﷺ : صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[1]، إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لنا»[2] .

وروى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، قالت عائشة رضي الله عنها : قلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التى أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جُعلت لى علامة فى أمتى إذا رأيتها قلتها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾» إلى آخر السورة.

وفى رواية لمسلم: كان ﷺ يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه». قالت: قلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: «أخبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النصر ، وكانت هذه السورة كما قال ابن عباس: نَعْيٌ لرسول الله ﷺ .

(٢) متفق عليه.

من الخير الدعوة إلى الخير والدلالة عليه:

ولمَّا كان الخير وفعله والتماس طرقه هو سبب فلاح المسلم، أرشدنا الله إلى فعله والمسارعة إليه، كذلك أرشدنا وأمرنا بالدعوة إليه، فقال - سبحانه -: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[1] .

وأمر سبحانه بالتعاون والمساعدة فى فعله والأخذ بالأيدى إلى هذا الطريق الذى يصل بنا إلى مرضاته سبحانه وتعالى فقال عز من قائل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[2] .

وهذا رسول الله ﷺ خير من دعا إلى الخير بقوله وفعله يعلمنا ويخبرنا عن الثواب العظيم للداعين إلى الخير والميسرين للناس طرقه، فعن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»[3] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا يُنقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا يُنقص ذلك من آثامهم شيئًا»[4] .

فالمسلم يَجْنِى ثواب عمل الخير والدعوة إلى فعله، ومن يعمل بقوله أو بمثل فعله فهل بعد هذا الخير من خير؟!

فعن أبى عبد الرحمن زيد بن خالد الجهنى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جهَّز غازيًا فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا فى أهله بخير فقد غزا»[5] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤ . (٢) سورة المائدة، الآية: ٢ .
(٣) رواه مسلم. (٤) رواه مسلم. (٥) متفق عليه.

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث بعثًا إلى بنى لحيان من هذيل فقال: «لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما»(١) .

❖ وفعل الخير والدعوة إليه باب عظيم به يتم إيمان العبد ويظهر أثره الواضح فى المجتمع والأمة سواء. فعن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢) .

وقال ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٣) .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : «مُعلِّم الخير والمتعلِّم فى الأجر سواء، وليس فى سائر الناس بَعْدُ خير».



(١) رواه مسلم. (٢) متفق عليه. (٣) رواه مسلم.

المسارعة فى فعل الخيرات والمبادرة إليها:

المسارعة فى الخيرات: أى المبادرة إلى الطاعات والسبق إليها والاستعجال فى أدائها وعدم الإبطاء فيها أو تأخيرهما.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] .

أى: سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهى الطاعة[2] .

وقال أنس بن مالك: معناه المسارعة إلى تكبيرة الإحرام. وقال على بن أبى طالب: إلى أداء الفرائض.

والمسلم يبادر لفعل الخير ويفعله فى جد ونشاط مقبلاً عليه غير متردد لأنها شيمة الأنبياء والصالحين ولسان حاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[3] .

وقال عز وجل فى الثناء على أحد أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[4] .

وقد أوصى النبى ﷺ بالمبادرة إلى الخيرات والأعمال الصالحة اغتنامًا لإيمان العبد وحياته قبل الفوت.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[5] .

وفى الحديث دلالة قوية وحث كبير فى المسارعة لفعل الخير وعدم تعطيل أعمال الخير، فالقلوب يقلبها الله والأحوال يصرفها الله ويغيرها.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعًا هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا أو هرمًا مفندًا أو موتًا مجهزًا أو الدجال فشر غائب يُنتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»[6] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣ .　(٢) تفسير القرطبى.　(٣) سورة طه، الآية: ٨٤ .

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٩ - ٩٠ .　(٥) رواه مسلم برقم (١١٨) .

(٦) رواه الترمذى برقم (٢٣٠٦)، وقال: حديث حسن غريب .

وفى الحديث معاني كثيرة: فالغنى يبادر بالصدقة والبذل فى طرق الخير المتنوعة قبل أن يأتى الفقر، والصحيح يبادر بالطاعة وهو يقوى عليها ويغتنم شبابه وصحته قبل المرض أو الشيخوخة، والإنسان يغتنم حياته قبل أن يأتى الموت.

كما يجب أن نغتنم زمان الأمن فى الطاعة والعبادة قبل أن يأتى زمان الفتن.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»[1] .

وكان من هديه ﷺ أنه كان يبادر لطرق الخير وعمله، وما روى عنه ﷺ أنه تباطأ فى عمل الخير يومًا.

فعن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صليت وراء النبى ﷺ بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعًا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم. فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته، قال: «ذكرت شيئًا من تبرٍ عندنا، فكرهت أن يحبسنى، فأمرت بقسمته»[2] .

وفى رواية «كنت خلَّفت فى البيت تبرًا[3] من الصدقة، فكرهت أن أبيته».

ثمرة المسارعة للخيرات: المسارعة فى الخيرات مرضاة للرب عز وجل ومغضبة للشيطان، وهى ترفع صاحبها إلى جنات عدن حيث النعيم المقيم.

والسبق إلى الخيرات يجعل صاحبه من المفلحين فى الدنيا والآخرة، والمبادرة إلى العمل الصالح توجد نوعًا من التنافس الحميد الذى يرقى بالمجتمع، والسابق إلى الخيرات يغبطه أصحابه ويتمنون أن يصيروا مثله ويمدحونه بهذا السبق، والمبادرة بالأعمال الصالحة تجعل صاحبها فى مأمن من الفتن أو الأمور التى قد تشغل الإنسان وتلهيه مثل المرض أو الفقر أو الغنى المُطغى أو الهرم.

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه البخارى.

(٣) التبر: الذهب كله، وقيل هو من الذهب والفضة. لسان العرب (تبر).

من صور المسارعة إلى الخيرات عند الصحابة:

❖ أبو بكر الصديق ﷺ والإنفاق فى سبيل الله

عن عائشة ﷺ قالت: «أنفق أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ أربعين ألفًا»[١] .

قال ﷺ: «أما أحدٌ أعظم عندى يدًا من أبى بكر واسانى نفسه وماله وأنكحنى ابنته»[٢] .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: أمرنا رسول ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك منى مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يومًا - فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقك إلى شىء أبدًا.

ومن أعظم صور الخير فى حياة هذا الصحابى الجليل بعد إيمانه بالله ومواساته لرسول الله ﷺ حرصه على الإسلام والمسلمين، فعن ابن عباس ﷺ قال: «عذب المشركون بلالاً وبلال يقول: أحدٌ أحدٌ فمر به النبى ﷺ فقال: أحدٌ، يعنى الله ينجيك ثم قال لأبى بكر: يا أبا بكر، إن بلالاً يُعذب فى الله»؛ فعرف أبو بكر الذى يريد رسول الله ﷺ فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلاً من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف، سَيِّد بلال، فقال له: أتبيعنى بلالاً؟ قال: نعم، فاشتراه فأعتقه، فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده، فأنزل الله - عز وجل - قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أى: سوف يعطيه فى الجنة ما يرضى[٣] .

وبفعل هذا الخير أصبح بلالٌ من أفضل صحابة رسول الله، فهو مؤذن رسول الله ﷺ ومؤذن المسلمين، وكان عمر ﷺ يقول: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا - يعنى: بلالاً -»[٤] .

---

(١) رواه ابن حبان. (٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٩١/١١) وحسنه الألبانى.

(٣) القرطبى. (٤) رواه البخارى.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه «والعدل»:

ومن صور الخير التى قَلَّ أن توجد حِرْص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على تحقيق العدل وتحريه.

فكان رضي الله عنه عدلاً مع رعيتة، فعن أبى فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: أيها الناس، ألا إنا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرينا النبى ﷺ وإذ ينزل الوحى وإذ ينبئنا الله من أخباركم ألا وإن النبى ﷺ قد انطلق وقد انقطع الوحى، وإنما نعرفكم بما نقول لكم: من أظهر منكم خيرًا ظننا به خيرًا، وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم لنا شرًا ظننا به شرًا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألا إنه قد أتى علىَّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده، فقد خُيِّل إلىَّ بآخره أن رجالاً قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس، فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم، ألا إنى والله ما أرسل عُمَّالى إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعل به شىء سوى ذلك فليرفعه إلىَّ، فوالذى نفسى بيده إذًا لأقصنَّه منه.

فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أو رأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدَّب بعض رعيته أئنك لمقتصه منه؟ قال: إى والذى نفس عمر بيده، إذًا لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص منه نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوا الغياض فتضيعوهم»[1] .

ومن أفضل الخير في حياته رضي الله عنه أنه كان يحرص على انتقاء ولاته وكان يتابعهم ويوصيهم بالناس خيراً.

روى عنه رضي الله عنه أنه بينما يتصفح الناس ويسألهم عن أخبار أمرائهم، إذ مر بأهل حمص فقال: كيف أنتم؟ وكيف أميركم؟ قالوا: خير أمير يا أمير المؤمنين إلا أنه قد بنى عُلِّيَّة يكون فيها، فكتب كتابًا، وأرسل بريدًا، وأمره إذا جئت باب عُلِّيَّته

(١) مسند الإمام أحمد (٤١/١).

فاجمع حطبًا وأحرق الباب. فلما قدم جمع حطبًا، وأحرق باب العُلية، فدخل عليه الناس وذكروا أن ههنا رجلاً يحرق باب عُليتك.

فقال: دعوه فإنه رسول أمير المؤمنين، ثم دخل عليه فناوله الكتاب فلم يضع الكتاب من يده حتى ركب، فلما رآه عمر قال: احبسوه عنى فى الشمس ثلاثة أيام، فحُبس عنه ثلاثًا، حتى إذا كان بعد ثلاث، قال: يا بن قرط الحقنى إلى الحرَّة (وفيها إبل الصدقة وغنمها) حتى إذا جاء الحرة ألقى إليه جبة وقال: انزع ثيابك واتَّزر بهذه، ثم ناوله الدلو فقال: اسق هذه الإبل، فلم يفرغ حتى لَغَب (أى تعب).

فقال: يا بن قرط متى كان عهدك بهذا؟ أى بالإمارة.

قال: مليًا (أى زمانًا) يا أمير المؤمنين.

قال: فلهذا بنيت العُلِّيَّة، وأشرفت بها على المسلمين والأرملة واليتيم.. ارجع إلى عملك ولا تعد[1] .

فرحم الله أمير المؤمنين رحمة واسعة وجزاه الله عن العدل وعن إفشائه خير الجزاء.



(١) الرياض النظرة (٢/٥٥).

الصحابى الجليل عثمان بن عفان وإنفاق لا ينقطع:

كان الصحابى الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه صاحب بذل ومسارعة للخير فله مواقف كثيرة كان لها أكبر الأثر فى الأمة الإسلامية؛ منها لما نادى رسول الله ﷺ فى تجهيز جيش العسرة فقال: «من يجهز هؤلاء ويغفر الله له؟» فكان عثمان من أول من سارع لهذا الخير، يقول الزهرى: «قدَّم عثمان لجيش العسرة فى غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيرًا، وستين فرسًا، أتمَّ بها الألف».

وروى عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن عثمان بن عفان جاء إلى النبى ﷺ بألف دينار فى كُمّه حين جهز جيش العُسرة، فنثرها فى حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبى ﷺ قلبها فى حجره، ويقول: ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم، «مرتين»[1] .

وقال حذيفة: جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ فى جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبها بين يديه فجعل الرسول ﷺ يُقلِّبها بيده ويقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة».

وقال عبد الرحمن بن عوف: «شهدت رسول الله ﷺ وقد جاءه عثمان بن عفان فى جيش العسرة بسبعمائة أوقية من الذهب».

ومن الصور المضيئة فى حياته رضي الله عنه شراؤه بئر رومة وجعله صدقة للمسلمين فى وقت احتاجوا فيه إلى الماء، قال ﷺ: «من حفر بئر رومة فله الجنة»، فقام سيدنا عثمان رضي الله عنه فاشتراها وجعلها صدقة للمسلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قحط الناس فى زمان أبى بكر فقال الخليفة لهم: إن شاء الله لا تمسون غدًا حتى يأتيكم فرج الله.. فلما كان صباح الغد، قدمت قافلة لعثمان، فغدا عليه التجار فخرج إليهم وعليه ملاءة قد خالف بين طرفيها على عاتقه، وسألوه أن يبيعهم قافلته فسألهم: كم تربحوننى؟ قالوا: العشرة اثنى عشر، قال: قد زادنى، قالوا: فالعشرة خمسة عشر، قال: قد زادنى، قالوا: مَن

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٧٠١) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقال الشيخ الألبانى: حسن.

الذى زادك وما فى المدينة تاجر غيرنا؟ قال: إنه الله زادنى بكل درهم عشرًا، فهل لديكم مزيد؟ فانصرف التجار وهو يقول: اللهم إنى وصيتها فقراء المدينة بلا ثمن وبلا حساب، فرحمه الله رحمة واسعة.

الصحابى الجليل ابن مسعود رضي الله عنه والخير فى القرآن الكريم:

قال ﷺ: «من سرَّه أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل فليقرأه من ابن أم عبد» يقصد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: كان أولَ من جهر بالقرآن – بعد رسول الله ﷺ – بمكة عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه.

قال دَعُونى فإن الله سيمنعنى، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضُّحى، وقريش فى أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ رافعًا صوته: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾[1] قال: ثم استقبلها يقرأ. قال: فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمدٌ، فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا فى وجهه، فقالوا له: هذا الذى خشينا عليك، فقال: ما كان أعداءُ الله أهون علىَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا، قالوا: لا حسبُك، قد أسمعتهم ما يكرهون»[2] .

❀ ❀ ❀

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ١ – ٢ .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه (١/٥٤٩) وإسناده صحيح متصل.

عبد الله بن عباس ﷺ والخير فى طلب العلم:

روى الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان فى بيت ميمونة فوضعت له وضوءًا من الليل قال: فقالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله ابن عباس فقال: «اللهم فقّهه فى الدين وعلّمه التأويل».

وعن ابن عباس قال: دعا لى رسول الله ﷺ أن يؤتينى الحكمة مرتين[1] بعد وفاة رسول الله ﷺ لزم ابن عباس ﷺ أصحاب النبى ﷺ ليتعلم منهم ما فاته من العلم وكان صاحب همة عالية لا يمل أبدًا من كثرة طلب العلم.

فعن ابن عباس قال: لما توفى رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلمَّ فلنسأل أصحاب النبى ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا بن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفى الناس من أصحاب النبى ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل فأتيه وهو قائل[2] : فأتوسد ردائى على بابه فتسفى الريح على وجهى التراب، فيخرج فيرانى فيقول يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلىَّ فآتيك فأقول أنا أحق أن آتيك.. فأسأله عن الحديث قال: فبقى الرجل حتى رآنى وقد اجتمع الناس علىَّ فقال: كان هذا الفتى أعقل منى[3] .

وقال ﷺ: «كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازى رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن فى ذلك، وكنت لا آتى أحدًا، إلا سُرَّ بإتيانى لقربى من رسول الله ﷺ فجعلت أسأل أُبَى بن كعب يومًا، وكان من الراسخين فى العلم، عما نزل بالقرآن فى المدينة؟ فقال «نزل بها سبعٌ وعشرون سورة وسائرها بمكة».

فكان ﷺ محبًا للعلم ساعيًا إليه مجاهدًا فى طلبه وكان من أثر ذلك الخير الكثير مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ .

---

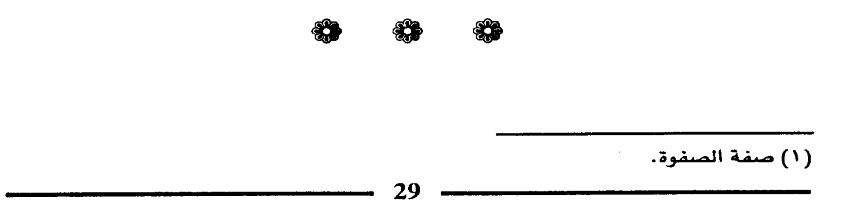
(١) رواه الترمذى.
(٢) أى: ينام وقت القيلولة من بعد الظهر.
(٣) رواه أحمد فى الفضائل.

فعن أبى صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرًا. رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجىء ولا أن يذهب قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه فقال: ضع لى وضوءًا. قال: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج فقل لهم: من أراد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل.

قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة. فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم قال: فخرجوا ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ثم قال: إخوانكم. قال: فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل. قال: فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل. قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة. فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم.. قال: فخرجوا ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية، والشعر الغريب من الكلام فليدخل. قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة . فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به وزادهم مثله. قال أبو صالح: فلو أن قريشًا كلها فخرت بذلك لكان لها فخرًا فما رأيت مثل هذا لأحدٍ من الناس[1] .



(١) صفة الصفوة.

الصحابى الجليل عمير بن الحُمام رضي الله عنه والخير فى الشهادة:

عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَة عينًا ينظر ما صنعت عِيرُ أبى سفيان، فجاء وما فى البيت أحد غيرى وغير رسول الله ﷺ قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: «إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا» - أى من كان معه دابته - فجعل رجال يستأذنونه فى ظهرانهم فى عُلو المدينة فقال: «لا إلا من كان ظهرهُ حاضرًا» فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «لا يقدمن من أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه» فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» قال: يقول عمير بن الحُمام الأنصارى: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل»[1] .

فهذا الصحابى الجليل ممن آثر الآخرة ووجد فيها الخير مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ .

فما أن سمع هذا الصحابى رسول الله ﷺ وهو يقول: «والذى نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة».

واشتاقت نفسه للجنة عندما سمع الصادق ﷺ يصفها بقوله: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فسطر بدمه سطورًا يُحتذى بها فى الشهادة فى سبيل الله.



(١) أخرجه مسلم.



الفصل الثانى

طرق الخير في العقيدة



الفصل الثانى

طرق الخير فى العقيدة

مفهوم العقيدة:

العقيدة: هى التصديق بالشىء والجزم به دون شك أو ريبة فهى بمعنى الإيمان، يقال: أعتقد كذا أى آمن به.

مفهوم الإيمان:

لغةً: بمعنى التصديق وهو أيضًا الإقرار بالشىء عن تصديق به.

واصطلاحًا: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

أركان الإيمان:

العقيدة الصحيحة للمؤمن التى دلَّ عليها كتابُ الله وسنة رسوله تتلخص فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فهذه هى أصول العقيدة الصحيحة.

أولاً: دليل هذه الأركان من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾(١) ،

ثانيًا: من السنة المطهرة ما رواه مسلم فى «صحيحه» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبى ﷺ عن الإيمان فقال له: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». وهذه الأصول الستة هى أول طرق الخير للعقيدة الصحيحة للمسلم إذ بالإيمان الصحيح يكون الفوز فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) .

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧ .

وقال عـز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[1] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[2] .

وفيما يأتى شرح مختصر لأصول الإيمان الستة التى تمثل العقيدة الصحيحة:

أولاً: «الإيمان بالله»

«الله»

هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التى نؤمن بها ونعمل لها ونعرف أن منها حياتنا وإليها مصيرنا.

والله – تبارك وتعالى – أهل الحمد والمجد، وأهل التقوى والمغفرة لا نحصى عليه ثناءً، ولا نبلغ حقه توقيرًا وإجلالاً [3] .

❖ والمسلم يؤمن بالله تعالى بمعنى أنه يصدق بوجود الرب تبارك وتعالى وأنه عز وجل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربُّ كل شىء ومليكه، لا إله إلا هو ولا رب غيره، وأنه جلَّ وعلا موصوف بكل كمال، منزَّه عن كل نقصان[4] .

والإيمان بالله هو الركن الأول من أركان الإيمان لقول رسول الله ﷺ: «أن تؤمن بالله» والإيمان به سبحانه يتضمن أربعة أمور وهى:

أ- الإيمان بوجود الله:

ووجوده سبحانه وتعالى من البديهات التى يدركها الإنسان بفطرته ويهتدى إليها بطبيعته، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، واقتراب المسافة جدًا قد

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥ .

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٦ .

(٣) عقيدة المسلم، ص ١٨ .

(٤) منهاج المسلم، أبو بكر الجزائرى.

يُعطل الرؤية مما لا يختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد. قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] .

وقد أخبر رب العالمين بنفسه – سبحانه – عن وجوده وذلك فى كتابه الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2] .

وقوله سبحانه فى خطابنا نحن المسلمين: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[3] وفى آية أخرى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[4] .

والإيمان بالله هو نداء الفطرة السليمة:

روى الإمام مسلم عن رب العزة أن الله تعالى قال فى حديثه القدسى: «.. إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»[5] .

وسُئل أعرابى فقيل له: بمَ عرفت ربك؟

قال «البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير؟ بلى».

ويُذكر عن الإمام أبى حنيفة – رحمه الله – وكان معروفًا بالذكاء، أنه جاءه قوم دهريون يقولون له: أثبت لنا وجود الله.

فقال: دعونى أفكر. ثم قال لهم: إنى أفكر فى سفينة أرست فى ميناء دجلة وعليها حمل، فنزل الحمل بدون حمَّال، وانصرفت السفينة بدون قائد!!

فقالوا: كيف تقول مثل ذلك الكلام؛ فإن ذلك لا يعقل ولا يمكن أن نصدقه!

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠ .
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤ .
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢ .
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢ .
(٥) رواه مسلم (٢٨٦٥) .

فقال: إذا كنتم لا تصدقون بها فكيف تصدقون بهذه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض، كيف يمكن أن تصدقوا أنها وُجدت بدون مُوجد؟!

وصدق الله العلى العظيم إذ يقول: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[1]

ب- الإيمان بربوبية الله: الربوبية الاسم من الرَّب.

و(الرَّب) أى: الخالق والمالك والمُدبِّر ولا يغنى واحد من هذه الثلاثة عن الآخر.

والمسلم يؤمن بربوبيته تعالى لكل شىء أى كونه خالقًا لها ومدبرًا لأمرها.

والله عز وجل أخبر عن ربوبيته بنفسه. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾[3] .

وقال تعالى فى بيان ربوبيته وألوهيته: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾[4] .

وسُئل أعرابى: بِمَ عرفت ربك؟

فقال: بنقض العزائم وصرف الهمم.

ومعنى هذا أن الإنسان يعزم أحيانًا على الشىء عزمًا وتصميمًا أكيدًا وفى لحظة يجد نفسه قد عزم على تركه ونقض العزم، وقد يهم الإنسان بالشىء متجهًا إليه ثم ينصرف بدون سبب، وهذا يدل على أن للأشياء مُدبرًا فوق تدبيرك أنت وهو الله عز وجل[5] .

وقد كان النبى ﷺ يقر بربوبية الله سبحانه وتعالى فكان يقول عند الكرب:

---

(١) سورة الطور، الآية: ٣٥ .

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٢ .

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٦ .

(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٧ - ٨ .

(٥) موسوعة الحقوق الإسلامية:٣١ .

«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العــرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[1] .

جـ- الإيمان بألوهية الله:

بمعنى أن يؤمن المسلم بأن الله سبحانه وتعالى هو الإله المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ولا يشاركه فى هذا الحق أحد، لا مَلك مُقرب ولا نبى مرسل - فالله سبحانه وتعالى شهد لنفسه بهذا وشهدت له الملائكة وأولو العلم قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[3] .

وقال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[4] .

ولقد كانت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم هى الدعوة إلى قول: «لا إله إلا الله».

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[5]

معنى كلمة أو قول «لا إله إلا الله» أى: لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له. وهذا كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[6] .

فضل قول واعتقاد «لا إله إلا الله»:

روى الإمام أحمد بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله صادقًا بها دخل الجنة»[7] .

---

(١) رواه البخارى: (٨/٩٣)، ومسلم (٢٧٣٠) ، كتاب الذكر والدعاء.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨ .
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٣ .
(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦ .
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/٤١١) .

والمخلص هو الذى يعتقدها ويفهمها ويعمل بها ويدعو إليها.

وروى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

د - الإيمان بأسماء الله وصفاته:

يجب على المسلم أن يؤمن بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وهى التى وردت فى كتابه العزيز وفى السنة الصحيحة على لسان رسوله الأمين، فيؤمن المسلم بها ولا يشرك غيره تعالى فيها، ولا يتأولها ولا يعطلها ولا يكيفها ولا يشبهها.

وصفات الله عز وجل من الأمور الغيبية، والواجب على الإنسان نحو الأمور الغيبية: أن يؤمن بها على ما جاءت دون أن يرجع إلى شىء سوى النصوص[1] .

يعنى أننا لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه فى كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2] .

وقال عز وجل: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[3] .

قال الشيخ ابن العثيمين: «وموقفنا من الإيمان بأسماء الله وصفاته أن نثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، وأن ننزه هذا الإثبات عن محظورين عظيمين هما التمثيل والتكييف..» وهذه هى عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان.

قال الأوزاعى - رحمه الله - سُئل الزهرى ومكحول عن آيات الصفات فقال: أَمِرُّوها كما جاءت.

---

(١) العقيدة الواسطية: ٤٨ .

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١ .

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٤ .

وقال – رحمه الله –: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله سبحانه على عرشه ونؤمن بما ورد فى السنة من الصفات.

فالله تعالى أخبر بنفسه عن أسمائه وصفاته، إذ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١) .

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(٢) .

فنحن نؤمن بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الواردة فى قرآنه وسنة نبيه ﷺ بما دلت عليه من المعانى العظيمة التى هى أوصاف لله (عز وجل) من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

لما سُئل الإمام مالك – رحمه الله – عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، فقال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة».

وكان الشافعى يقول: آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله. وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله. والكلام فى هذا الباب كثير جداً، ومن أراد الوقوف على أكثر من ذلك فليراجع ما كتبه علماء السنة فى هذا الباب وكذلك كتب عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثمار الإيمان بالله:

والإيمان بالله تعالى بهذه الصورة الصحيحة يقود الإنسان لأفضل طرق الخير. إذ لا خير فى شىء دون الإيمان بالله – عز وجل – ومن هذا الخير ثمار الإيمان التى يجنيها العبد والتى نجمل بعضها فيما يلى:

أ – الإيمان بالله يحرر النفس من سيطرة الغير، وذلك لأن الإيمان يقتضى الإقرار بأن الله هو المحيى المميت، الخافض، الرافع، النافع، الضار.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠ .

قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١) .

ب- الإيمان بالله يبعث فى النفس احتقار الموت والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق.

وهذا لأن واهب العمر هو الله، والعمر لا ينقص بالإقدام، ولا يزيد بالإحجام.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾(٢) .

وقال عز وجل: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٣) .

جـ- الإيمان بالله يقتضى الاعتقاد بأن الله هو الرزاق وأن الرزاق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٤) .

وقال عز من قائل: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٥) .

ومن تسيطر عليه هذه العقيدة الصحيحة تخلص نفسه من رذيلة الشح والبخل والحرص والشره والطمع واتصف بالجود والبذل والسخاء وكان إنسانًا مأمول الخير مأمون الشر.

د- ومن أثر الإيمان بالله الطمأنينة، طمأنينة القلب وسكينة النفس وانشراح الصدر.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥ .
(٣) سورة النساء، الآية: ٧٨ .
(٤) سورة هود، الآية: ٦ .
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٢ .

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(١) .

وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾(٢) .

هـ- الإيمان بالله يجعل المؤمن يحيا حياةً طيبة، حيث يعجِّل الله بها للمؤمنين فى الدنيا قبل الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣) .

و- كذلك فإن الإيمان بالله سبب للسعة فى العيش وحلول البركات من عند مَن يملكها - سبحانه وتعالى - وحده.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(٤) .

ز - والإيمان بالله سبب لرفع العذاب والخزى وحلول الرضا من الله سبحانه وتعالى، والمتعة الحقيقية فى الدنيا، قال عز وجل: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾(٥)

ح - والإيمان بالله سبب حقيقى لنصر الله عز وجل لعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(٦) .

وثمار الإيمان التى تجنى منه فى الدنيا والآخرة كثيرة وخيره عظيم وحسب المؤمن أن يقرأ كتاب ربه بتدبر ليتعرف على هذا الخير الكثير.

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨ .
(٢) سورة الفتح، الآية: ٤ .
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧ .
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٦ .
(٥) سورة يونس، الآية: ٩٨ .
(٦) سورة غافر، الآية: ٥١ .

ثانياً: الإيمان بالملائكة

الملائكة: عالم لطيف غيبى خلقهم الله عز وجل من نور كما قال ﷺ: «خلقت الملائكة من نور.....»[1] .

وهم عبادٌ مكرمون مطهرون من الشهوات الحيوانية ومبرؤون من الميول النفسية ومنزهون عن الآثام والخطايا.

والله سبحانه وتعالى قد فاضل بينهم، فمنهم الملائكة المقربون، كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومنهم دون ذلك.

والمسلم يؤمن بهذا كله لأمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان بهم وإخباره عز وجل عنهم فى قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾[2] .

وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[3] .

وقال ﷺ فى دعائه عندما يقوم لصلاة الليل: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون؛ اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[4] .

وقال ﷺ: «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[5] .

كيف نؤمن بالملائكة؟

أولاً: نؤمن بأسماء من علمنا اسمه كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان، وملك الموت، ومنكر ونكير.

---

(١) رواه مسلم. (٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦ . (٣) سورة البقرة، الآية: ٩٨ .
(٤) رواه مسلم. (٥) رواه البخارى: (١٤٥/١) .

ثانيًا: نؤمن بأوصاف من علمنا وصفه كما صح عن النبى ﷺ. أنه رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها وله ستمائه جناح قد سد الأفق[1] .

ثالثًا: الإيمان بالكتب

والمسلم يجب أن يؤمن بالكتب التى أنزلها الله عز وجل على رسله، وأن هذه الكتب كلام الله أوحاه إلى رسله ليبلغوا عنه شرعه ودينه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾[2] وأمر الله - عز وجل - عباده بالإيمان بالكتب التى أنزلها، قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[3] .

وقد أخبر النبى ﷺ بهذه الكتب فى أحاديث كثيرة منها قوله: «إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطى أهل التوراة التوراةَ فعملوا بها حتى انتصف النهار، ثم عجزوا؛ فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أعطى أهل الإنجيل الإنجيلَ فعملوا به حتى صلاة العصر، ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين، قيراطين، فقال: أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقلَّ عملاً وأكثر أجرًا؟ قال: هل ظلمتكم من أجركم من شىء؟ قالوا: لا، فقال: فذلك فضلى أوتيه من أشاء»[4] .

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده (١/٣٩٥) .

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥ .

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٦ .

(٤) رواه البخارى: فى كتاب التوحيد، باب فى المشيئة والإرادة وما تشاؤون إلا أن يشاء الله .

كيف نؤمن بالكتب؟

نؤمن بما علمنا اسمه من هذه الكتب «القرآن الكريم» والمنزل على نبينا محمد ﷺ و«التوراة» المُنزلة على نبى الله موسى عليه السلام، و«الزبور» المُنزل على نبى الله داود عليه السلام و«الإنجيل» المُنزل على عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام.

ونؤمن أن القرآن الكريم أعظم هذه الكتب والمهيمن عليها والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها قال ﷺ: «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه»[1] ولقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[2] .

وقال ﷺ: «ما من الأنبياء من نبى إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيًا أوحى الله إلىَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[3] .

رابعًا: الإيمان بالرسل

الإيمان برسل الله أحدُ أركان الإيمان، فالمسلم يؤمن بأن الله تعالى اصطفى من الناس رُسُلاً وأوحى إليهم بشرعه وأرسلهم بالبينات وأيدهم بالمعجزات.

والرسول هو: من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه.

وأول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[4] .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[5] .

والدليل على النبى محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[6] وقد أخبر النبى ﷺ عن نفسه وعن

(١) رواه أبو داود كتاب السنة (٤٦٠٤).

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الشيخ الألبانى: صحيح.

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان: برقم (١٥٢) . (٤) سورة النساء، الآية: ١٦٣ .

(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦ . (٦) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠ .

إخوانه من الأنبياء والمرسلين قال ﷺ: «ما بعث الله من نبى إلا أنذر قومه الأعور الكذاب»[1] - المسيح الدجال - وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف» وفي رواية الطبرى مائة وأربعة وعشرون ألفًا ...»[2] .

هل آدم رسول أم نبى ؟ الصواب أن آدم عليه السلام نبى وليس برسول.

مَنْ هم أولو العزم مِنْ الرسل؟

أولاً: العزم أى الثبات والصبر.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[3] .

وقيل: إن أولى العزم هم كل الرسل، وتكون (مِنْ) فى الآية لبيان الجنس ولكن المشهور أنهم (محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى) عليهم السلام، وقد نص الله على أسمائهم فى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[4] ، وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[5] .

خامساً: الإيمان باليوم الآخر

يجب أن يؤمن المسلم بأن هذا العالم سيفنى وبفناء هذا العالم يكون اليوم الآخر. فيموت كل الأحياء، وتتبدل الأرض والسموات ثم تأتى الحياة الثانية، فيبعث الله سبحانه الخلائق بعثًا، وبعد البعث يحاسب الله كل فرد على ما عمل من خير أو شر.

---

(١) رواه البخارى: فى كتاب التوحيد، باب: قول الله ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ طه: ٣٩ .

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان فى صحيحه فى كتاب البر والإحسان (٧٦/٢) والطبرانى مختصرًا فى التاريخ (١٥١/١) .

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧ .

(٥) سورة الشورى، الآية: ١٣ .

وقد اهتم القرآن الكريم بتقرير الإيمان بهذا اليوم فورد ذكره فى آيات كثيرة قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[3] .

وقال سبحانه: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[4] .

وقد أخبر النبى ﷺ عن هذا اليوم، قال ﷺ وهو يخطب: «أيها الناس إنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غُرلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ .... إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤) فأول الخلائق يكسى إبراهيم ﷺ خليل الرحمن عز وجل ألا ثم يؤخذ بقوم منكم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابى، قال: فيقال لي: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك»[5] وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ليتنى كنت مكانه»[6] .

وقال ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، .. قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شئ إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذَّنَب، ومنه يُركَّب الخلق يوم القيامة»[7] .

والإيمان باليوم الآخر يمثل عنصرًا هامًا بعد الإيمان بالله؛ لأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذى صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهى إليه الوجود.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٢ .
(٣) سوة الروم، الآية: ٥٦ .
(٤) سورة غافر، الآية: ٢٧ .
(٥) رواه أحمد فى مسنده: (١/٢٥٣) .
(٦) رواه البخارى: (٩/٧٣) .
(٧) رواه مسلم: (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة.

سادساً: الإيمان بالقدر

ومعنى القدر: هو النظام المحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة، والسنن التى ربط الله بها الأسباب بمسبباتها وهذا مصداقًا لقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾(١) .

وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ﴾(٢) .

وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٣) .

وعرفه النووى قائلاً: إن الله تبارك وتعالى قَدَّر الأشياء فى القدم، وعلم – سبحانه – أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة فهى تقع حسب ما قدرها.

فالمسلم يؤمن بقضاء الله وقدره وحكمته ومشيئته، وأنه لا يقع شىء فى الوجود إلا بعد علم الله به وتقديره، وأنه تعالى عدل فى قضائه وقدره.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٤) .

وقد عَلَّم رسولُ الله ﷺ صحابته الإيمانَ بالقدر وهذا فى قوله ﷺ لعبد الله بن عباس: «يا غلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»(٥) .

وقال ﷺ: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة»(٦) .

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٨ .
(٢) سورة الحجر، الآية: ٢١ .
(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩ .
(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٢ .
(٥) رواه الترمذى (٤/٦٦٧) وقال: حديث حسن صحيح.
(٦) رواه الإمام أحمد (٥/٣١٧)، و أبو داود (٢/٦٣٧)، والترمذى (٥/٤٢٤) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وقال ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: فحج آدم موسى»[1] .

هل الإيمان بالقدر يتعارض مع إرادة العبد؟

وإذا كان الإيمان بالقدر جزءًا من عقيدة المسلم فليس فيه معنى الإجبار يقول الخطابي: «قد يحسب كثيرٌ من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه العبد على ما قدره وقضاه... وليس الأمر كما يتوهمون وإنما معناه الإخبار عن تقديم علم الله سبحانه بما يكون من اكتسابات العبد، وصدورها عن تقدير منه تعالى، وخلقه لها. خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر»[2] .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يجيب على الذين تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولم يهتموا بإقامة الحدود والقصاص، لأن ما وقع من المفاسد والجرائم مقدَّر لا بد منه.

قال ابن تيمية - رحمه الله -:

«من يقرّ بتقديم علم الله وكتابه، ويزعم أن ذلك يغنى عن الأمر والنهى والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، بل من قضى له بالسعادة دخل الجنة، بلا عمل أصلاً، ومَن قضى له بالشقاوة شقى بلا عمل، فهؤلاء ليسوا طائفة معدودة من طوائف أهل المقالات، وإنما يقوله كثير من جهال الناس وهؤلاء أكفر من أولئك (يعنى المكذبين بالقدر) وأضل سبيلاً، ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهى والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى[3] .

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم (٢٦٥٢) من حديث أبى هريرة وصححه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة.

(٢) العقائد الإسلامية، (٨٤) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٨٨/٨) .

خلاصة المسألة:

أَنَّ علم الله - سبحانه - بما سيقع، ووقوعه حسب هذا العلم لا تأثير له فى إرادة العبد، فإن العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير، وهذا ما ينبغى أن نفهمه من القدر؛ لأن هذا ما فهمه النبى ﷺ والصحابة رضى الله عنهم.

قال علي بن أبى طالب: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل فأيقظنا للصلاة ثم رجع إلى بيته يصلى هويًا من الليل، فلم يسمع لنا حسًا؛ فرجع إلينا فأيقظنا فقال: «قوما فصليا» قال: فجلست وأنا أعرك عينى وأقول: إنا والله ما نصلى إلا ما كتب الله لنا، إنما أنفسنا بيد الله، فإن شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فولى رسول الله ﷺ وهو يقول ويضرب على فخذه ما نصلى إلا ما كتب الله لنا: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (سورة الكهف، الآية: ٥٤)[1] .

وروى أن أحد اللصوص سرق، فلما حضر بين يدى عمر رضي الله عنه سأله لِمَ سرقت؟ فقال: قدَّر الله ذلك: فقال عمر رضي الله عنه -: اضربوه ثلاثين سوطًا، ثم اقطعوا يده، فقيل له: ولِمَ؟ فقال يقطع لسرقته، ويضرب لكذبه على الله.

فالقدر لا يتخذ سبيلاً إلى التواكل، ولا ذريعة للمعاصى، ولا طريقًا إلى القول بالجبر، وإنما يجب أن يتخذ سبيلاً إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال.

إن القدر يدفع بالقدر، فيدفع قدر الجوع بقدر الأكل. وقدر الظمأ بقدر الريِّ، وقدر المرض بقدر العلاج والصحة، وقدر الكسل بقدر النشاط والعمل.

فيجب أن نقاوم الفقر بالعمل، والجهل بالعلم، والمرض بالعلاج، والكفر والمعاصى بالجهاد، وقد كان النبى ﷺ يستعيذ بالله من الهم والحزن، والعجز والكسل، والكفر والفقر.

ثمار الإيمان بالقدر:

والإيمان بالقدر يجلب للإنسان أفضل الثمار فهو خلاص من الشرك،

(١) رواه النسائى فى سننه (٢٠٦/٣)، وأحمد في مسنده (٩١/١) .

واستقامة على منهج سواء فى السراء والضراء، وهو يجعل الإنسان يواجه الصعاب والأخطار بقلب ثابت وطمأنينة دائمة وسكينة وهامة مرفوعة.

بهذا أخى القارئ نكون قد انتهينا من شرح أصول الإيمان الصحيحة والتى هى أول طرق الخير للعبد. وأحب أن ألفت النظر إلى أن هناك مسائل أخرى فى العقيدة كالإيمان بالجنة والنار والحوض والشفاعة ورؤية الله لعباده المؤمنين وكلها تدخل فى الإيمان باليوم الآخر، فيمكن الرجوع إليها فى كتب العقيدة المختصة بهذا الباب.

فبعد الاعتقاد الصحيح الذى يُقّبل من خلاله العمل ننتقل لجملة من أعمال الخير تبدأ بالعبادات ثم الأخلاق.

❀ ❀ ❀



الفصل الثالث

في العبـــادات



الفصل الثالث

فـــى العبـــــادات

الطهارة:

الطهارة عند اللغويين: هى النظافة والنزاهة عن كل شىء مستقذر، وعند أهل الشريعة: هى النظافة من الحدث ومن الخبث.

والطهارة واجبة على المسلم بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(١) .

وقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾(٢) .

وقال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطّهور»(٣)، وقال ﷺ: «الطُّهور شطر الإيمان»(٤) .

فضلها: من يتدبر القرآن الكريم يرى أن الله سبحانه قد مدح المتطهرين وأثنى عليهم ومن ذلك:

١- أن الله - عز وجل - يحبهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٥) .

٢- جعل سبحانه صفة الطهارة من صفات عباده وأوليائه المصطفين الذين فضلهم على غيرهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(٦) .

٣- وقد أمر الله - عز وجل - نبيين كريمين بتطهير بيته الحرام من الأصنام، والأوثان التى تُعبد من دون الله فقال سبحانه: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(٧) .

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٤ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦ .

(٣) رواه الترمذى وأبو داود والإمام أحمد.

(٤) صحيح، رواه مسلم (٢٢٣).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢ .

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٤٢ .

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٢٥ .

٤- قال ﷺ: «لا تقبل صلاة بغير طهور»[١]؛ فالطهور سبب لأن يقبل الله الصلاة.

الوضوء:

الوضوء: هو استعمال الماء الطهور فى أعضاء مخصوصة كالوجه واليدين والرأس والرجلين بكيفية مخصوصة.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[٢] .

وقال ﷺ: «لا تقبل صلاة مَن أحدث حتى يتوضأ»[٣] ، وقد أجمع المسلمون على مشروعية الوضوء منذ العهد النبوى إلى يومنا هذا، دون خلاف بينهم فى ذلك.

فضائل عبادة الوضوء:

وردت أحاديث كثيرة فى فضل الوضوء منها:

أ - ما جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمتى يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[٤] .

ب- قال الرسول ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»[٥] .

جـ- وقال ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - وإذا غسل يديه خرجت كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقيًّا من الذنوب»[٦] .

---

(١) رواه الترمذى. (٢) سورة المائدة، الآية: ٦ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الوضوء باب: لا تقبل صلاة بغير طهور.

(٤) رواه البخارى ومسلم. (٥) رواه مسلم (٢٥١). (٦) رواه مسلم (٢٤٤).

الصلاة:

الصلاة لغةً: الدعاء أو الدعاء بخير.

وشرعًا: هى أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم[1] .

والصلاة فريضة الله على كل مؤمن ومؤمنة، أمر الله - تعالى - بها فى كتابه العزيز فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[2] وجعلها رسول الله ﷺ القاعدة الثانية من قواعد الإسلام الخمسة التى لا يتم إسلام العبد إلا بها فقال ﷺ: «بنى الإسلام على خمسة؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»[3] .

وأفضل الطرق لله سبحانه وتعالى حسن عبادته بإقام الصلاة والمحافظة عليها، والصلاة خيرها كثير وفضلها عظيم.

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤتَ كبيرة وذلك الدهر كله»[4] .

فضلها:

وللصلاة فضائل عديدة تبينها الأحاديث الآتية:

١- قال ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة»[5] .

٢- قول النبى ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله»[6] .

٣- وقال ﷺ عندما سُئل عن أفضل الأعمال؟ فقال: «الصلاة لوقتها»[7] .

٤- قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس

(١) الفقه الإسلامى وأدلته د. وهبه الزحيلى. (٢) سورة البقرة، الآية: ٤٣ .
(٣) رواه البخارى ومسلم. (٤) رواه مسلم (٢٢٨). (٥) رواه مسلم (٨٢) .
(٦) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٥/٢٣١). (٧) رواه مسلم.

مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[1] .

الصلاة لوقتها:

ومن أفضل طرق الخير التى ينبغى أن يحرص عليها المسلم أن يبادر لأداء كل فرض فى وقته الذى كتبه الله. يقول الشيخ سيد سابق - رحمه الله -: «وللصلاة أوقات محدودة لا بد أن تؤدى فيها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[2] وموقوتًا: أى محددًا فى أوقات معلومة[3] .

وأصبح التعرف على أوقات الصلاة اليوم من أسهل الأمور وأيسرها - بعد تقدم العلم - لوجود المذياع ومكبرات الصوت كما أنها أصبحت تحدد بأوقات لكل بلد، تحدد فيها وتعرف من خلال الساعة.

فضل المحافظة على الصلاة لوقتها:

أن النبى ﷺ قد عدَّها من أفضل الأعمال فعن عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ، أى العمل أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قال: قلت: ثم أى؟ قال: «بر الوالدين» قال: قلت: ثم أى؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» فما تركت أستزيده إلا إرعاءً عليه[4] .

صلاة الجماعة:

وصلاة الجماعة سنة واجبة فى حق المؤمن ما لم يمنعه عذر شرعى من حضورها.

فضلها:

ويشهد لفضلها قول النبى ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة[5] ، وقال: «صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته،

---

(١) راه مسلم (٦٦٧). (٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣ . (٣) فقه السنة (٦٨/١).
(٤) رواه مسلم (٨٥). (٥) رواه مسلم (٦٥٠) .

وصلاته فى سوقه بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحطّ عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان فى الصلاة ما كانت الصلاة هى تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه اللهم اغفر له، اللهم تُبْ عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه»[1] .

وفى صحيح مسلم: أن رجلاً أعمى أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له ليصلى فى بيته فرخص له. فلما ولى دعاه رسول الله ﷺ فقال له: «هل تسمع النداء بالصلاة؟ - أى الأذان - قال نعم. فقال له ﷺ: «فأجب»[2] .

وجاء فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة - أى صلاة الجماعة - إلا قد استحوذ عليهم الشيطان»، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية[3] .

المحافظة على صلاة الجمعة:

يوم الجمعة يوم فاضل عظيم وهو من خير أيام الدنيا قال ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم عليه السلام وفيه أدخل إلى الجنة وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة»[4] .

فينبغى على المسلم أن يغتنم هذا الخير ويعظم ذلك اليوم بتعظيم الله له فيكثر فيه من الصالحات ويبتعد فيه عما حرم الله. وكما هو معلوم أن أفضل الخير فى ذلك اليوم صلاة الجمعة.

واتفق الفقهاء على أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم، بالغ، عاقل سليم من الأعذار التى تبيح التخلف عنها.

---

(١) رواه مسلم (٦٤٩) .

(٢) رواه مسلم (٦٥٣) .

(٣) رواه أبو داود (٥٠٢/١) .

(٤) رواه مسلم (٦٤٩).

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾(١) .

وصلاة الجمعة لا تجب على غير المسلم، ولا على الصبى، ولا على المجنون، ولا على المرأة، ولا على المريض الذى لا يستطيع أداءها، ولا على الأعمى الذى لا يجد من يقوده وكذلك لا تجب على المسافر وهذا لفعل النبى ﷺ فقد كان ﷺ لا يصلى الجمعة فى سفره(*) .

قال ﷺ: «الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة - لأن الجماعة فيها فرض - إلا أربعة؛ عبدٌ مملوك أو امرأة، أو صبىٌّ، أو مريضٌ».

وقال ﷺ "«لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكوننَّ من الغافلين»(٢) .

فينبغى على المسلم الحفاظ على هذه الفريضة وابتغاء وجه الله بالعبادة كى يحصل على ثوابها العظيم وخيرها الكبير.

أفضل المساجد:

ومن الخير العظيم الذى جعله الله لعباده الصلاة فى المساجد التى عظَّمها الله وخصها بوافر خيره وبركته إن استطاع المسلم أن يصل لهذه المساجد ويصلى فيها.

روى البيهقى عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة فى مسجدى ألف صلاة، وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة»(٣).

وروى الإمام أحمد أن النبى ﷺ قال: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩ .

(*) هذا وكل من حضر الجمعة ممن لا تجب عليهم، وصلاها مع الإمام أجزأته وسقط عنه الواجب، فلا يصلى الظهر بعدها.

(٢) رواه ابن ماجه فى سننه (١/٢٦٠) .

(٣) رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/٤٨٦) .

ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»[1] وروى الجماعة أن النبى ﷺ قال: «لا تشد الرحال، إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى».

السعى إلى المساجد والجلوس فيها:

ومن أعظم أبواب الخير السعى للمساجد والجلوس فيها.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له فى الجنة نزلاً كلما غدا وراح»[2] .

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة»[3] .

وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله . قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»[4] .

الحفاظ على السنن:

١- رغيبة الفجر: وهى سنة مؤكدة إذ هى مبتدأ صلاة المسلم بالنهار، أكدها رسول الله ﷺ بعمله وما تركها قط. قال ﷺ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»[5] .

فجعل النبى ﷺ هاتين الركعتين فيهما من الخيرية ما هو أفضل من الدنيا.

٢- الوتر: والوتر سنة واجبة لا ينبغى للمسلم تركها بحال. وهو أن يصلى المسلم آخر ما يصلى من نافلة الليل بعد صلاة العشاء ركعة تسمى الوتر.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٣/٣٩٧) .   (٢) رواه الشيخان ورواه الإمام أحمد.

(٣) رواه مسلم (٦٦٦).   (٤) رواه مسلم (٢٥١).   (٥) رواه مسلم (٧٢٥).

ومن السنة أن يصلى قبل الوتر ركعتين فأكثر إلى عشر ركعات ثم يصلى الوتر، وهذا لفعله ﷺ، ذلك فى الصحيح.

قال ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى»[1] .

ولفضل هذه الصلاة وعظم الخير فى هذه السنة المباركة وصى رسول الله ﷺ بأن تقضى إذا فاتت المسلم أو نسيها لسبب من الأسباب. قال ﷺ: «إذا أصبح أحدكم ولم يوتر، فليوتر»[2] .

وقال ﷺ: «من نام عن وتره أو نسيه، فليصله إذا ذكره»[3] .

الحفاظ على الرواتب:

ومن الخير الوفير الذى لا تحصى حسناته وخيراته عند الله عز وجل الرواتب وهى من السنن ويقصد بها السنن القبلية والبعدية وهى على الترتيب ركعتان قبل الظهر وركعتان بعدها، وركعتان قبل العصر، وركعتان بعد المغرب وركعتان أو أربع بعد العشاء.

وهذا لقول عمر رضي الله عنه: «حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات، ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب فى بيته وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الصبح»[4] .

ويجوز أن يكون أربعًا قبل الظهر لقول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ لا يدع أربعًا قبل الظهر»[5] .

وأيضًا أربعًا قبل العصر لقوله ﷺ: «رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعًا»[6] .

---

(١) رواه البخارى (٢/٣٠) والإمام أحمد (٢/١٠٢).
(٢) رواه البيهقى (٢/٤٧٨).
(٣) رواه أبو داود (١٤٣١) صحيح.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه البخارى (٢/٧٤) .
(٦) رواه أبو داود (٨) الترمذى (٤٣٠) وهو حسن.

مراعاة التطوع أو النفل المُطلق:

صلاة التطوع أو النفل باب عظيم من أبواب الخير على المسلم الساعى لمرضاة الله عز وجل أن يلزمه ويترقبه، وفى قصة الرجل الذى سأل الرسول ﷺ مرافقته فى الجنة دلَّه النبى ﷺ على الخير العظيم فقال له: «أعنى على نفسك بكثرة السجود»[١] .

وقال النبى ﷺ: «ما أذن الله لعبد فى شىء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليذر فوق رأس العبد ما دام فى صلاته»[٢] .

ومن خير صلاة التطوع وبركتها العظيمة، أنها تجبر ما نقص من الفريضة قال النبى ﷺ: «أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا عز وجل للملائكة - وهو أعلم -: انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامه كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدى من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك»[٣] .

صلاة ركعتين بعد الوضوء:

من صلاة التطوع صلاة ركعتين بعد الوضوء وخير هاتين الركعتين عظيم عند الله لقوله ﷺ: «لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلى صلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التى تليها»[٤] .

وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال: «يا بلال حدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام، إنى سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة» قال: ما عملت عملاً أرجى عندى أنى لم أتطهر طهورًا فى ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى»[٥] .

---

(١) رواه مسلم (٤٨٩) ورواه الإمام أحمد (٣/٥٠٠) . (٢) رواه الترمذى (٢٩١١) وهو ضعيف.
(٣) رواه الحاكم (٢٦٢/١). (٤) رواه مسلم (٢٢٧) وأبو داود (٩٥٠).
(٥) متفق عليه.

وعن حمران مولى عثمان: أنه رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوء فأفرغ على يمينه من إنائه فغسلها ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه فى الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاثًا قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ نحو وضوئى هذا، ثم قال: «من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفَسه غُفر له ما تقدم من ذنبه»[1] .

صلاة الضحى:

من أفضل القربات والطاعات التى داوم عليها رسول الله ﷺ وأوصى بها ورب العزة أثنى عليها.

قال ﷺ: «إن الله تعالى قال: «ابن آدم اركع لى من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره»[2] .

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[3] .

وعن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة» قالوا: فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: «النخامة فى المسجد تدفنها أو الشىء تنحيه عن الطريق، فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك»[4] .

قال الشوكانى: «والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وكبر موقعها وتأكيد مشروعيتها وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة. ويدلان أيضًا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ودفن

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.
(٢) رواه الترمذى (٢/٣٤٠) .
(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود.
(٤) رواه أحمد فى مسنده (٥/٣٥٤) .

النخامة وتنحية ما يؤذى المار عن الطريق وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة فى كل يوم»[1] .

وورد فيها أن أقل ركعاتها اثنتان وأكثر ما ثبت من فعل الرسول ﷺ ثمانى ركعات، وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة، وذهب قوم منهم الطبرى والحليمى والرويانى من الشافعية أنه لا حد لأكثرها[2] .

تحية المسجد:

وهذا لقول النبى ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين»[3]

تراويح رمضان:

وهذا من أعظم الخير أيضًا لقول النبى ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[4] .

ركعتا التوبة:

قال ﷺ: «ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلى ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»[5] .

صلاة ركعتين عند القدوم من السفر:

وهذا من سنن النبى ﷺ، أنه إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى، قال كعب ابن مالك: كان النبى ﷺ إذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين[6] .

---

(١) فقه السنة، (ص ١/١٤٨) .
(٢) فقه السنة (١/١٤٩) .
(٣) رواه البخارى (٢/٧٠) ورواه مسلم (٧١٤).
(٤) رواه البخارى (١/١٦).
(٥) رواه ابن ماجه (١/٤٤٦) .
(٦) رواه البخارى (١/١٢٠) ورواه مسلم (٩) كتاب التوبة.

قيام الليل

مفهومها:

صلاة قيام الليل هى الصلاة التى يصليها المسلم أو المسلمة ليلاً، تقربًا إلى الله - تعالى - وأملاً فى مرضاته ونيل ثوابه.

قال تعالى فى فضلها والثناء على من يصلى هذه الصلاة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾[2] .

وقال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[3] .

وقال ﷺ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»[4] .

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال: «إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه. وذلك كل ليلة»[5].

أحوال الصحابة والتابعين في قيام الليل:

كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح.

وقال الحسن - رحمه الله -: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل، ونفقة هذا المال، فقيل له: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره.

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٨ .
(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠ .
(٣) سورة السجدة، الآية: ١٦ .
(٤) رواه الترمذى (٥/٥٥٢).
(٥) رواه مسلم (٧٥٧) .

وقال الربيع: بتُّ فى منزل الشافعى رضي الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام فى الليل إلا يسيرًا.

وقال مالك بن دينار: سهوت ليلة عن وردى ونمت، فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن ما يكون وفى يدها رقعة فقالت لى: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها:

أألهتك اللذائذُ والأماني	عن البيض الأوانس فى الجنان
تعيش مُخلدًا لا موت فيها	وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبَّه من منامك إن خيرًا	من النوم التهجدُ بالقران

الصلاة على الميت وتشييع جنازته:

ومن أبواب الخير الكثير نفعه للمسلم والغزير ثوابه تشييع الجنازة والصلاة عليها. فقد قال النبى ﷺ: «من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا، وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أُحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط»[1].

وروى الإمام مسلم عن خباب رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عمر، ألا تسمع ما يقول أبو هريرة؟ إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تُدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أحُد. ومن صلى عليها ثم رجع كان له مثل أُحد؟. فأرسل ابن عمر رضي الله عنهما خبابًا إلى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة ثم يرجع إليه فيُخبره ما قالت وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها فى يده حتى رجع إليه الرسول فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد فرَّطنا فى قراريط كثيرة [2].

فيا ترى كم فرَّطت يا أخى فى عدد القراريط؟!

---

(١) رواه البخارى (٨١/١).

(٢) رواه مسلم (٩٤٥).

الزكاة:

المال وغيره مما تجب فيه الزكاة من نعم الله التى أنعم الله بها على الإنسان، فالمسلم الفطن هو من يجعل هذه النعم سببًا لرضا الله والفوز بالجنة، وهذا بأن يتصرف المسلم فيها بما أمره الله، فتكون بذلك من أعظم أبواب الخير.

قال حجة الإسلام الإمام الغزالى: إن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبانى الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام. فقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[1] .

وقال ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة..»[2] .

وقال تعالى مرغبًا فى فضلها : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]. أى خذ أيها الرسول من أموال المؤمنين صدقة معينة كالزكاة المفروضة أو غير معينة، وهى التطوع ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾؛ أى: تطهرهم بها من دنس البخل والطمع، والدناءة والقسوة على الفقراء والبائسين، وما يتصل بذلك من الرذائل، وتزكى أنفسهم بها، أى تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية، حتى تكون بها أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية[4] .

بل وقد حثَّ الإسلامُ على الصدقة لما لها من فضل عظيم.

روى أحمد والترمذى، وصححه، عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره أو فلوه، أو فصيله حتى إن اللقمة لتصير مثل جبل أُحد» قال وكيع: وتصديق ذلك فى كتاب الله قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[5] .

وقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[6] .

---

(1) إحياء علوم الدين جـ1 ، ص 283 .
(2) رواه البخارى (1/9) ورواه مسلم (20 ، 21) .
(3) سورة التوبة، الآية: 103 .
(4) فقه السنة ص (1/236) .
(5) سورة التوبة، الآية: 104 .
(6) سورة البقرة، الآية: 276 .

صدقة التطوع:

وصدقة التطوع باب من أبواب الخير التى فتحها الله لعباده دائمًا وجعل ثوابها مستمرًا حتى بعد الممات. قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمما ورد فى فضل صدقة التطوع ما أخرجه البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبًا إلا كان الله أخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ الثمرة مثل أحد». ومن خيرها أنها ظل للمسلم. قال ﷺ: «كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس»[1] .

ومن خيرها ما ذكره عمر بن عبد العزيز إذ قال: الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه.

وقال ابن أبى الجعد: إن الصدقة لتدفع سبعين بابًا من السوء وفُضّل سرها على علانيتها بسبعين ضعفًا وإنها لتفك لحيى سبعين شيطانًا»[2] ومن خير الصدقة أنها تنفع الإنسان حتى بعد الموت.

روى مسلم عن أبى هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أبى مات وترك مالاً ولم يوصِ، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم»[3] .

ورُوى أن أم سعد بن عبادة لما ماتت ﷺ قال: يا رسول الله إن أمى ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم» قال: فأى الصدقة أفضل؟ قال: «سقى الماء»[4] .

وقال النبى ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقه جارية.. »[5] .

---

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم من حديث عقبة بن عامر.

(٢) إحياء علوم الدين حـ ٣٠٦/١ .

(٣) رواه مسلم (١٦٣٠) .

(٤) رواه الإمام أحمد (٢٨٥/٥) والنسائى (٢٥٤/٦ ، ٢٥٥).

(٥) رواه الترمذى (١٣٧٦) .

الصيام:

ويشهد لفضل الصيام وثوابه العظيم وأجره الكبير عند الله أحاديث.

عن أبى أمامة قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: مُرنى بعمل يدخلنى الجنة. قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له». ثم أتيته الثانية فقال: «عليك بالصيام»[1] .

وروى البخارى وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جُنَّة فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنى صائم مرتين، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى. الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها»[2].

وقال ﷺ: «إن للصائم عند فطره لدعوة لا ترد»[3] .

وقال ﷺ: «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال»[4] .

وأيضًا من فضله العظيم الذى يجعلنا نحرص على هذه العبادة الطيبة.

ما روى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا يصوم عبد يومًا فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفًا»[5] .

أولاً: الفرض

صوم رمضان:

صوم رمضان فريضة فرضها الله على عباده المسلمين المؤمنين وهو واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. فقد قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[6] .

---

(١) رواه أحمد والنسائى والحاكم وصححه. (٢) رواه البخارى فى فضل الصوم (٤٩٨١) .

(٣) رواه ابن ماجه (١٧٥٣) والحاكم (٤٢٢/١) وصححه.

(٤) رواه الإمام أحمد (٤١٤/٢) والنسائى (١٦٧/٤).

(٥) رواه الجماعة إلا أبا داود. (٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٥ .

وقـول النبى ﷺ: «بُنِى الإسـلامُ على خـمـس: شـهـادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان»[1] .

ولصيام رمضـان ثواب عظيم وخير وفير وفضـائل عظيـمة ومزايا عديدة لم تكن لغيره من الشهور تبينها هذه الأحاديث الشريفة.

قال ﷺ : «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجُتنبت الكبائر»[2] .

وقـال ﷺ : «مـن صـام رمـضـان إيمانًا واحـتسـابًا غُـفـر له ما تقـدم من ذنبه»[3] .

ثانيًا: صيام السنن

صيام ستة أيام من شوال:

من الأيام التى يستحب صيامها ستة أيام من شوال لقول النبى ﷺ: «من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال فكأنما صام الدهر»[4] .

صيام العشر الأوائل من شهر ذى الحجة:

قـال رسـول الله ﷺ: «مـا من أيام العـمل الصـالح فـيـهـا أحب إلىَ الله عـز وجل من هذه الأيام» - يعنى العشر الأول من ذى الحجة - قالوا: يا رسول الله ولا الجـهـاد فى سـبـيل الله؟ قـال: «ولا الجـهـاد فـى سـبـيل الله إلا رجل خـرج بنفسه وماله ، ثم لا يرجع من ذلك شىء»[5] .

يوم عرفة لغير الحاج:

أيضًا من الأيام التى يستحب التطوع لصيامها يوم عرفة لغير الحاج وهو تاسع ذى الحجة.

---

(١) رواه البخارى (٩/١) ومسلم (٢١/٢٠) والترمذى (٢٦٠٩).
(٢) رواه مسلم فى الطهارة (١٤، ١٥، ١٦) .
(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.
(٤) رواه مسلم (٨٢٢) .
(٥) راه ابن ماجه ورواه الإمام أحمد.

لقول النبى ﷺ: «صوم يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين، ماضية ومستقبلة، وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية»[1] .

صيام عاشوراء:

ويستحب صيام يوم عاشوراء ويوم تاسوعاء وهما التاسع والعاشر من شهر المحرم وهذا لقول النبى ﷺ: « .... وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » .

وعن معاوية بن أبى سفيان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء صام ومن شاء فليفطر»[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله ﷺ إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى... فقال: «إذا كان العام المقبل -إن شاء الله - صُمنا اليوم التاسع»، قال: فلم يأتِ العام المقبل، حتى توفى رسول الله ﷺ[3] .

وقد ذكر العلماء فى صيام عاشوراء أنه على ثلاث مراتب.

المرتبة الأولى: صوم ثلاثة أيام: التاسع والعاشر والحادى عشر.

المرتبة الثانية: صوم التاسع والعاشر.

المرتبة الثالثة: صوم العاشر وحده.

صيام أكثر شعبان:

وكان رسول الله ﷺ يصوم أكثر شعبان لما فيه من الخير الكبير والأجر العظيم، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر منه صيامًا فى شعبان»[4] .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله، لم أركَ تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب

---

(١) رواه الإمام أحمد. (٢) متفق عليه. (٣) رواه مسلم وأبو داود.

(٤) رواه البخارى ومسلم ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٧٨٦١) .

ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم»[1] .

الصوم فى شهر الله المحرم والصوم فى الأشهر الحرم:

وهذا لقول النبى ﷺ عندما سُئل: أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: «شهر الله الذى تدعونه المحرم»[2] .

وإذا كان أفضل الصيام بعد الفريضة فى شهر الله المحرم كما قال ﷺ فإنه وصى كذلك بالإكثار من الصيام فى الأشهر الحرم هى: ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب ويستحب الإكثار من الصيام فى هذه الأشهر، فعن رجل من باهلة: أنه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا الرجل الذى جئتك عام الأول، فقال: «فما غيَّرك وقد كنت حسن الهيئة؟» قال: ما أكلت طعامًا إلا بليل منذ فارقتك، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ عذَّبت نفسك؟» ثم قال: «صم شهر الصبر، ويومًا من كل شهر» قال: زدنى، فإن بى قوة قال: «صم يومين» قال: زدنى. قال: «صُم من الحُرم واترك، صُم من الحُرم واترك، صُم من الحُرم واترك» وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها»[3] .

ومعنى قوله: «وقال بأصابعه الثلاثة، فضمها، ثم أرسلها» أى أشار إليه بصيام ثلاثة أيام وفطر ثلاثة أيام.

صيام الأيام البيض من كل شهر:

ومما يستحب صومه من كل شهر الأيام البيض وهى: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

فعن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام، البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة. »[4] .

---

(١) رواه أبو داود والنسائى وصححه ابن خزيمة. (٢) رواه ابن ماجه ورواه الإمام أحمد.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى بسند جيد.

(٤) رواه النسائى (٢٤٢٢) وصححه ابن حبان (٣٦٥٦).

صيام يوم الاثنين ويوم الخميس:

ويوما الاثنين والخميس من كل أسبوع من الأيام التى كان يواظب النبى ﷺ على صومها فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له - أى سُئل عن ذلك - فقال: «إن الأعمال تُعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين، فيقول أخرهما»[1] .

وفى صحيح مسلم: أنه سُئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذاك يوم ولدت فيه وأُنزل علىَّ فيه (أى نزل الوحى علىَّ فيه)».

صيام يوم وإفطار يوم:

فقد روى عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «أحب الصيام إلى الله صيامُ داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا»[2] .

الحج:

فريضة الحج واجبة على المستطيع لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[3] .

وللحج فضل عظيم فى تطهير النفس من آثار الذنوب لتصبح أهلاً لكرامة الله تعالى فى الدار الآخرة فقد قال النبى ﷺ: «من حجَّ البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه»[4] .

ثمرة الحج:

ومن خير هذه العبادة الكبير أن جعلها رسول الله ﷺ أفضل الأعمال ومن

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح. (٢) رواه البخارى (٤/١٩٥) وأبو داود والإمام أحمد.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧ .

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/٤٦٠) ورواه النسائى وابن ماجه.

ذلك قوله ﷺ: «ما عمل أحب إليَّ من جهاد فى سبيله، وحجة مبرورة متقبَّلة لا رفث فيها ولا فسوق ولا جدال»[1] .

وقوله ﷺ: «الحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[2] .

وعن عمرو بن العاص قال: لما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت رسول الله ﷺ فقلت: أبسط يدك فلأبايعك. قال: فبسط فقبضت يدى فقال: ما لك يا عمرو؟ قلت: أشترط، قال: «تشترط ماذا؟» قلت: أن يُغفر لى. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله»[3] .

أداء العمرة:

وللعمرة ثوابها العظيم الذى يجعل العالم به يحرص على القيام بأدائها فقد قال الرسول ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[4] .

فضل العمرة:

ولفضلها العظيم فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ اعتمر أربع عُمَر. وهذا يدل على عظيم فضلها وكثير خيرها.

روى أحمد وأبو داود بسند رجاله ثقات عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ اعتمر أربع عُمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة مع حجته.

الأضحية:

تعريفها:

هى اسم لما يذبح أو ينحر من الإبل أو البقر أو الغنم فى يوم عيد الأضحى تقربًا إلى الله وشكرًا له. وللأضحية فضل كبير عند الله - سبحانه وتعالى -

(١) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء وقال: حديث غريب من حديث نافع لا أعلم رواه عنه إلاَّ عثمان.

(٢) رواه البخارى ومسلم. (٣) رواه مسلم. (٤) رواه البخارى (٣/٢).

ويشهد لما لسُنَّه الأضحية من الفضل العظيم قول الرسول ﷺ: «ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله عز وجل من هراقة دم، وإنه ليأتى يوم القيامة بقُرُونِها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسًا»[1] .

وقوله ﷺ وقد قالوا له ما هذه الأضاحى؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم» قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة» قالوا: فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة»[2] .

العقيقة:

العقيقة هى الذبحية التى تذبح فى اليوم السابع من ميلاد المولود شكرًا لله - تعالى - على نعمه وكرمه.

ومن فضلها أنها وسيلة لله - عز وجل - فى حفظ المولود ورعايته وقد بيَّن النبى ﷺ فضلها حيث قال: «كل غُلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه»[3] .

❁ ❁ ❁

(١) رواه ابن ماجه (١٠٤٥/٢) وضعَّفه الشيخ الألبانى.
(٢) رواه الإمام أحمد ورواه ابن ماجه وضعفه الشيخ الألبانى.
(٣) رواه الإمام أحمد والنسائى وصححه غير واحد.



الفصل الرابع

الأخـــــــــلاق



الفصل الرابع

الأخـــــــــلاق

اهتم الإسلام بتربية النفس على الأخلاق الكريمة وتهذيبها تهذيبًا حسنًا اهتمامًا كبيرًا، وتمثل هذا الاهتمام الكبير فى قول النبى ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١) .

وأيضًا ظهر هذا واضحًا فى ثناء رب العالمين على نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢) .

كما بيَّن سبحانه فى كتابه الكريم أن الأخلاق الفاضلة سببٌ تنال به الجنة فضلاً عن مغفرته سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣) .

والخُلُقُ: هو هيئة راسخة فى النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية من حسنة وسيئة، وجميلة وقبيحة، وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها(٤) .

وإذا كانت الأخلاق الحسنة تتقبلها النفس وتطمئن لها وتعمل بها فلا بد من الدعوة لهذه الاخلاق قولاً وعملاً وإن كانت القدوة الحسنة أوقع فى النفس من غيرها. يقول الغزالى فى خُلُق المسلم: «وحسن الخلق لا يُؤَسس فى المجتمع بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهى المجردة إذ لا يكفى فى طبع النفوس على الفضائل أن يقول المعلم لغيره افعل كذا أو لا تفعل كذا، فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة ويتطلب تعهدًا مستمرًا. ولن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على

(١) ذكره البيهقى فى السنن الكبرى (١٠/١٩٢).
(٢) سورة القلم، الآية: ٤ .
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣ – ١٣٤ .
(٤) منهاج المسلم، (١١٣) .

الأسوة الحسنة، فالرجل السيئ لا يترك فى نفوس من حوله أثرًا طيبًا .. ولهذا فإننا نرى أن رسول الله ﷺ وهو خير قدوة يُقتدى بها كانت أفعاله كلها تنطق قبل كلماته ﷺ، ولذلك لما سُئلت السيدة عائشة ؓ عن أخلاق النبى ﷺ قالت: كان خلقه القرآن. وفى رواية: كان قُرآنًا يمشى على الأرض ﷺ .

الأخلاق الحسنة أعظم طرق الخير:

وقد بيَّن الرسولُ ﷺ فى أكثر من حديث أن الأخلاق الحسنة من أعظم أبواب الخير وأفضلها قال ﷺ: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة»(١) .

وقال ﷺ: «ما من شىء فى الميزان أثقل من حسن الخلق»(٢) .

ومن خير الخلق الحسن أن المرء يكمل إيمانه به. قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا»(٣) .

وقال ﷺ: «إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»(٤) .

وسُئل رسول الله ﷺ: أىَّ الأعمال أفضل؟ فقال: « حسن الخلق» وسُئل عن أكثر ما يدخل الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»(٥) وليعلم المسلم أن النبى ﷺ بين أن ضعف الخلق دليل على ضعف الإيمان فالسيئ الخلق القاسى الطبع المتكب لغيره لن يكتمل إيمانه حتى تحسن أخلاقه.

قال ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه»(٦) .

وروى الإمام أحمد أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، فقال ﷺ: «هى فى

(١) ذكره الطبرانى فى المعجم الكبير بسند جيد.
(٢) رواه الترمذى (٢٠٣) .
(٣) رواه مسلم (١٤) كتاب البر والصلة.
(٤) رواه أبو داود (٤٦٨٢) والإمام أحمد.
(٥) ذكره الهيثمى فى موارد الظمآن .
(٦) رواه البخارى.

النار» ثم قال: يا رسول الله فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط - بالقطع من الجبن - ولا تؤذى جيرانها، قال ﷺ: «هى فى الجنة»[١] .

ولمَّا كانت للأخلاق هذه المنزلة العظيمة فى ديننا سأحاول فى السطور الآتية أن أُبين بإيجاز بعض الأخلاق التى إن حرص عليها المسلم كانت سبيل سعادته فى الدارين وكانت طريقه للخير والفوز والفلاح.

الاقتداء بأخلاق النبى ﷺ:

لأن القدوة والأسوة تنهض بالدور الأول فى ميدان التربية والتزكية والصياغة للإنسان وللمجتمع والثقافة والحضارة، فلقد شاء الله - سبحانه وتعالى - أن تكون القدوة والأسوة للأمة الوسط ذلك النبى الأمى الذى جسدت حياته أكمل نموذج للوسطية الإسلامية.

أهمية الأخلاق فى الإسلام:

لقد حدد النبى ﷺ الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين فى دعوته بقوله ﷺ: «إنما بعثت لأُتمم حسن الأخلاق»[٢] .

فبين النبى ﷺ فى هذا الحديث أن هذه الرسالة العظمى إنما تنشد تدعيم فضائلهم وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم، حتى يسعوا إليها على بصيرة.

وبين النبى ﷺ مكانة الأخلاق عندما أخبرنا أنها مقسمة بيننا كما تقسم الأرزاق. روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «إن الله تعالى قَسَمَ بينكم أخلاقَكُم، كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله - عز وجل - يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب؛ فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذى نفسى بيده لا يسلم عبدٌ حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جارُهُ بوائقة» قالوا: وما بوائقه يا نبى الله؟ قال: «غشمُهُ وظلمه،

(١) رواه الإمام أحمد (٢/٤٤٠) .

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/٩٠٤).

ولا يكسب عبدٌ مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيُقبَل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله - عز وجل - لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[١] .

النبى ﷺ خير قدوة وأسوة:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢] .

نعم لقد أدَّبه ربه فأحسن تأديبه فكان ﷺ على خُلق عظيم وكان ﷺ أحسن الناس خلقًا. فعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى أفٍّ قط وما قال لشىء صنعته لم صنعته، ولا لشىء تركته لِمَ تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًا قط ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عَرق النبى ﷺ»[٣] .

قال الإمام النووى: والحديث دليل على بيان كمال خُلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن سعد بن هشام سألها فقال: يا أُمَّ المؤمنين: أنبئينى عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: أليس تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: «فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن»[٤] .

فمن أخلاقه ﷺ تواضعه وتعاونه مع الآخرين:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»[٥] .

وعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة: ما كان النبى ﷺ يصنع فى أهله؟ قال: كان فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاةُ قام إلى الصلاة»[٦] .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣٨٧/١) وإسناده ضعيف. (٢) سورة القلم، الآية: ٤ .

(٣) رواه الترمذى (٣٦٨/٤) وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه مسلم (٧٤٦). (٥) رواه البخارى. (٦) رواه البخارى.

وقد أمر ﷺ بالتواضع فقال فى الحديث الذى رواه عِيَاض المُجَاشِعِىّ رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغى أحدٌ على أحدٍ»[1] .

وكذلك جمعت أخلاقه ﷺ بين الرفق واليسر وبين الغضب الشديد لدين الله: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُير رسول الله بين أمرين إلاّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قط، إلاّ أن تُنتهك حرمة الله فينتقم بها لله»[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله فينتقم لله عز وجل»[3] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال فى المسجد، فثار الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دَعُوه وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماءٍ أو سَجْلاً من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين»[4] .

ومن صور رفقه ﷺ وأمره به حتى مع غير المسلم ما رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن يهودَ أتوا النبى ﷺ فقالوا: السَّامُ عليكم. فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. فقال ﷺ: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق، وإياكِ والعنف والفحش». قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعى ما قلت؟ رَدَدْت عليهم، فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فىَّ»[5] .

وأخبرنا رسولنا وقدوتنا ﷺ أن خير ما أوتى الإنسان هو الرفق.

عن أبى الدرداء رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من أعطى حَظَّه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير»[6] .

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥). (٢) رواه البخارى ومسلم. (٣) رواه مسلم (٢٣٢٨).
(٤) رواه الشيخان. (٥) رواه البخارى ومسلم.
(٦) رواه الترمذى (٤/٣٦٧) وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

ومن أخلاقه ﷺ الحلم والعفو:

عن ابن مسعود قال: كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبيًا من الأنبياء، ضربه قومه، فأدموه فهو يمسحُ الدمَ عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون»[1] .

عن أنس قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى، فجبذه بردائه جبذةً شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء»[2] .

وعن عبد الله بن الزبير قرأ قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ .

قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

وقال: ما أنزل الله هذه الآية، إلاَّ فى أخلاق الناس.

هذا وقد أثنى رسول الله ﷺ على من تحلى بهذه الخصلة الطيبة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلمُ والأناةُ»[3] .

ولأنه ﷺ كان النموذج الأعظم الذى تكاملت فى صفاته وشمائله وأفعاله الوسطية الجامعة، والتوازن العدل فإن حياته وقدوته وأسوته لم تخلُ من البشاشة والبسمة التى تروِّح عن النفس وتجدد طاقات القلوب، وهذا مع التزام الحق والصدق.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «إنى لا أقول إلا حقًا»[4] .

(١) رواه الشيخان. (٢) رواه مسلم (١٠٥٧). (٣) رواه مسلم (١٧) .

(٤) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

وفى صفاته وشمائله، من حديث على بن أبى طالب: «كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخُلق، لين الجانب».

ومن حديث عبد الله بن الحارث بن جزء: «ما رأيت أحدًا أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ»[1] .

ومن حديث كعب بن مالك، كان ﷺ: «إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر»[2] .

ومن صور ضحكه ﷺ ومزاحه الحق:

عن الحسن: أتت عجوز إلى النبى ﷺ فسألته أن يدعو الله لها بالجنة، فقال: «لا يدخل الجنة عجوز»، فبكت، فقال: «إنك لست بعجوز يومئذٍ».

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾[3] .

ومن رواية زيد بن أسلم، عن خوات بن جبير الأنصارى، قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ مر الظهران، قال: فخرجت من خبائى فإذا أنا بنسوة يتحدثن، فأعجبنى فرجعت فاستخرجت عيبتى فاستخرجت منها حلة فلبستها وجئت فجلست معهن وخروج رسول الله ﷺ من قبته فقال: «أبا عبد الله ما يجلسك معهن؟»، فلما رأيت رسول الله ﷺ هبته، واختطلت، قلت: يا رسول الله جمل لي شرد فأنا أبتغى له قيدًا، فمضى واتبعته فألقى إلىَّ رداءه ودخل الأراك كأنى أنظر إلى بياض متنه خضرة الأراك فقضى حاجته وتوضأ، فأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره - أو قال: يقطر من لحيته على صدره - فقال: «أبا عبدالله ما فعل شراد جملك؟» ثم ارتحلنا، فجعل لا يلحقنى فى المسير. إلا قال: «السلام عليك أبا عبدالله ما فعل شراد ذلك الجمل؟»، فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة واجتنبت المسجد والمجالسة إلى النبي ﷺ، فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد فأتيت المسجد فقمت أصلى، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجاة فصلى ركعتين خفيفتين وطولت رجاء أن يذهب ويدعنى، فقال: «طول أبا عبدالله

---

(١) رواه الترمذى والإمام أحمد. (٢) رواه الشيخان. (٣) رواه الترمذى.

ما شئت أن تطول، فلست قائمًا حتى تتصرف»، فقلت فى نفسى: والله لأعتذرنَّ إلى رسول الله ﷺ ولأبرِّئنَّ صدره، فقلت: والذى بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم، فقال: «رحمك الله – ثلاثًا –»، ثم لم يعد لشىء مما كان(1) .

قال ابن القيم – رحمه الله –: «جمع النبىُّ ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخُلُق، لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خَلْقه، تقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق، يدعو الناس إلى محبته».

فعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(2) .

فحسن الخلق من أفضل ما يُقَرب العبد إلى ربه تعالى، وحُسن الخلق سبب فى حب رسول الله ﷺ والقرب منه يوم القيامة.

فالمرءُ يدرك بحسن خُلقه درجة الصائم القائم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»(3) .

وحسن الخلق من أكثر ما يُدخل الناس الجنة. فعن أبى هريرة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق». وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفمُ والفَرجُ»(4) .

إن حسن الخلق يجعل صاحبه ممن ثقلت موازينه يوم القيامة.

عن أبى الدرداء قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «ما من شىء يوضع فى الميزان أثقل من حُسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»(5) .

---

(1) رواه الطبرانى فى الكبير (٤/٢٠٣) (٤١٤٦).
(2) رواه الترمذى وقال: حديث حسن.
(3) رواه أبو داود.
(4) رواه الترمذى.
(5) رواه الترمذى، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

الصدق

الصدق خُلق للمسلم يجب ألا يتخلى عنه؛ لأن الصدق من متممات إيمان العبد ومكملات إسلامه والله عز وجل أمر به فى كتابه وأثنى على المتصفين به.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[2] .

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3] .

وأمر رسول الله ﷺ بالصدق فقال فى الحديث الذى رواه عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال: «إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[4] .

وعن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»[5] .

والصدق له صور فى الحياة، فليس الصدق هو صدق الحديث فقط فهذا نوع أو صورة من صور الصدق. فالصدق يكون فى الحديث، فالعبد المسلم لا يتحدث إلا بالصدق فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله من الكذب ما اطَّلع على أحد من ذلك بشىء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة»[6] .

وهذا لأن كذب الحديث آية من آيات النفاق قال ﷺ: «آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[7] .

والصدق يكون فى الوعد فالمسلم يفى بوعده وينجز عهده؛ لأنه إن أخلف فقد تحققت آية من آيات النفاق.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩ . (٢) سورة محمد، الآية: ٢١ .

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٣ . (٤) رواه البخارى (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٦) .

(٥) ذكره البخارى معلقًا (٤/٣٩١) وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. (٦) رواه أحمد.

(٧) رواه البخارى (١/١٥)، ومسلم (١٠٧ ، ١٠٩).

ويشهد لهذا النوع من الصدق قول الله - عز وجل -: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[١] .

وكذلك من صور الصدق: الصدق فى النية والعزم ويشهد لذلك قول النبى ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[٢] .

ويكون الصدق فى المعاملات، فالمسلم يصدق فى معاملته فلا يخادع ولا يغش قال ﷺ: «البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بُورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما»[٣] .

فالصدق خلق رفيع له مقام عال اتصف به الأنبياء من قبل فأثنى الله عليهم فى كتابه بهذا الخلق الفاضل فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[٤] .

وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[٥] .

والصدق يعطى الرجل مظهرًا حسنًا يرفعه فى وسط من يسمعه فهو يحترم الكلمة ويحرص على القول.

فهذا رسول الله ﷺ قبل أن يبعث نراه يصدق فى قوله ووعده حتى لُقِّب بالصادق الأمين ﷺ.

فعن عبد الله بن أبى الحمساء قال: «بايعت رسول الله بيعًا قبل أن يبعث فبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها فى مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاثة فجئت فإذا هو فى مكانه فقال: «يا فتى لقد شققت علىّ أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك»[٦] .

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣
(٢) رواه مسلم (١٩٠٩)
(٣) رواه البخارى .
(٤) سورة مريم، الآية: ٤١ .
(٥) سورة مريم، الآية:٥٦ .
(٦) رواه الترمذى وأبو داود.

الصبر

الصبر هو حبس النفس على ما تكرهه من عبادة الله وطاعته، وإلزامها بذلك إلزامًا، وحبسها دون معاصى الله عز وجل فلا يسمح لها بالوقوع فيها، وحبسها على تحمل البلاء إذا نزل بها فلا سخط ولا جزع. وفى كل ذلك يستعان بذكر الله ووعده بالجزاء الحسن على هذه الطاعة. فالله عز وجل هو القائل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾.

وقد ذكر الإمام ابن القيم – رحمه الله – فى (عدة الصابرين) معانى كثيرة فى حقيقة الصبر أذكر بعضها ليعم نفعها.

سُئل عنه الجنيد بن محمد فقال: «تجرُّع المرارة من غير تعبس».

وقال ذو النون: «هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غُصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة».

وقيل: «الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب».

وقيل: «هو الغنى فى البلوى بلا ظهور شكوى»(١) .

وقد أمر عز وجل بالصبر فى كثير من الآيات. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢) .

وقال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(٣) .

وبيَّن سبحانه أن أجر الصبر أجرٌ عظيم لا يعرف مقداره إلا هو فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٤) .

وكذلك بيَّن النبىُّ ﷺ فضل الصبر فقال ﷺ: «الصبرُ ضياء»(٥) .

وقد بيَّن النبى ﷺ أن الصبر بابٌ عظيم من أبواب الخير. فعن أبى يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله

(١) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» للإمام ابن القيم، ص ١٤ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠ .
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٧ .
(٤) سورة الزمر، الآية: ١٠ .
(٥) رواه مسلم (١)، والبخارى (٦٤٧٠) .

له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له»[1] .

وقد أوصى النبى ﷺ ابنته وقد أرسلت إليه تطلب حضوره عندما احتضر ولدها بالصبر، فعن أبى زيد أسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ وحِبُّه وابن حبِّه رضى الله عنهما قال: أرسلت بنتُ النبى ﷺ: إن ابنى قد احتضر فاشهدنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: «إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شىء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب»[2] .

وقد صور الصحابة ﷺ الصبر فى حياتهم قولاً وعملاً. استجابة لأوامر الله وتنفيذًا لوصايا رسول الله ﷺ.

قال الأمام أحمد: حدثنا وكيع عن مالك بن مغول، قال: مرض أبو بكر رضي الله عنه فعادوه فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآنى الطبيب. قالوا: فأى شىء قال لك؟ قال: إنى فعَّال لما أريد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجدنا خيرَ عيشنا بالصبر.

وقال أيضًا: أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا.

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له، وقال: الصبر مطية لا تكبو[3] .

وقد كان النبى ﷺ يوصى صحابته بالصبر وهو فى أشد الأوقات رضًا بقضاء الله ويقينًا فى نصره.

فعن خباب بن الأرت. أنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له فى ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا، فقال: «قد كان مَن قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دين الله»[4] .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩) . (٢) رواه البخارى (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣) .
(٣) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، ص ٩٦ . (٤) رواه البخارى (٩/٢٦) .

الأمانة

الأمـانـة هـى الخلق الـذى يجب أن يحـرص المسلمـون عليـه وأن يتـواصى كل منهم برعايته، فالأمانة ملازمة للإيمان فلا يوجد إيمان بدون أمانة، قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»(١) .

وقد بيَّن الله عـز وجل أن الأمانة فضيلة ضخمة فيجب أن يحذرها الإنسان ولا يستهين بها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾(٢) .

وأمر الله سبحانه وتعالى بأداء الأمانات والحفاظ عليها فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾(٣) .

وقد نبَّه رسول الله ﷺ وحذَّر من ضياع الأمانة وأنه سوف يأتى زمان تُقبض فيه الأمانة.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر: ثم حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال، ثم من القرآن، علموا من السنة، حدثنا عن رفع الأمانة فقال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرُها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك، فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شىء. ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله، فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال: إن فى بنى فلان رجلاً أمينًا حتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه، ما أعقله! وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان... الحديث»(٤) .

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢ .

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨ .

(٤) الحديث رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم (١١٤٣) .

معنى قوله (جَذْرُ) وهو أصل الشيء. «الوكت» الأثَرُ اليسير، «المجل» هو تَنَفَّطُ فى اليد ونحوها من أثر عمل وغيره، «منتبرًا» مُرْتَفعًا .

والأمانة فى نظر الشارع واسعة الدلالة، وهى ترمز إلى معاني، مناطها جميعًا شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه على النحو الذى فصله الحديث الكريم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته»[١] .

وإن كان من معانى الأمانة حفظ الودائع فإن لها معانى أخرى كثيرة منها: أمانة الكلمة بأن يحفظ المسلم حقوق المجالس.

قال ﷺ: «إذا حدث رجلٌ رجلاً بحديث ثم التفت، فهو أمانة»[٢] .

وقال ﷺ: «المجلس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك دم حرام أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق»[٣] .

وكذلك من معانيها أن يحفظ الرجل ما يحدث بينه وبين أهله، فعن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده، فقال: «لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها» فأزم القوم - سكتوا وجلين - فقلت: إى والله يا رسول الله، إنهن ليقلن وإنهم ليفعلون. قال: «فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل الشيطان لقى شيطانة في طريقه فغشيها والناس ينظرون»[٤] .

وقال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه، ثم ينشر سرَّها»[٥] .

---

(١) رواه البخارى، خلق المسلم، ص ٤١ .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه أبو داود .
(٤) رواه الإمام أحمد (٤٥٦/٦) .
(٥) رواه أحمد.

ومن معانى الأمانة أن يحفظ الإنسانُ جوارحَه وحواسَّه وأن ينظر إلى المواهب التى خصَّه الله بها وإلى ما حباه الله به من أموال وأولاد فيدرك أنها ودائع الله الغالية، فيسخرها فى قرباته ويستخدمها فى مرضاته»[1] .

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2] .

ومن معانى الأمانة أن يتقى الإنسانُ اللهَ فى عمله بأن يتقنه ويستنفد جهده فى إتمامه وإحسانه، ولا يستهين بعمله مهما كان بسيطًا، وإلا فهى خيانة للواجب الذى وُكِل به.

قال ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان»[3] .

❀ ❀ ❀

(١) بتصرف من خلق المسلم ص ٤٤ .

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٧ - ٢٨ .

(٣) رواه مسلم (١٧٣٥) .

التواضع

التواضع نعمة من الله يُرزق به عبده. فالمسلم يتواضع فى غير مذلة ولا مهانة.

ولما لهذا الخلق من منزلة عالية عنده نراه سبحانه وتعالى يأمر نبيه محمد ﷺ بهذا الخلق فهو القائل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) .

ولما أراد الله - عز وجل - أن يثنى على عباده الذين شرفهم بإضافتهم إلى رحمته وهم عباد الرحمن كانت أول صفاتهم هى التواضع.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾(٢) .

وقال سبحانه فى الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٣) .

ونجد الرسول الأمين ﷺ يأمر بالتواضع ويحض أمته على هذا الخلق الفاضل قال ﷺ: «إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغى أحدٌ على أحد»(٤) .

وبيَّن ﷺ أن التواضع هو العزة الحقيقية للمؤمن وأن الله - عز وجل - يرفع عبده ويزيده شرفًا بهذا التواضع. فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»(٥) .

ومن صور تواضعه ﷺ ما روى عن أنس رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبى ﷺ يفعله(٦) .

وروى عن أنس قال: «كانت الأَمَة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»(٧) .

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥ . (٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣ .
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤ . (٤) رواه مسلم، (٢٨٦٥) .
(٥) رواه مسلم، (٢٥٨٨) . (٦) رواه البخارى ومسلم. (٧) رواه البخارى، (٦٠٧٢) .

ومن ينظر فى حياة النبى ﷺ فى بيته يجده فى غاية التواضع، فعن الأسود بن يزيد قال: سُئلت عائشة ﵂ ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته؟ قالت: كان يكون فى مهنة أهله - أى فى خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة»[1] .

وكان يقول ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة ﵁ عنه: «لو دُعيت إلى كراع أو ذراع لقبلت، ولو أهدى إلىَّ ذراع أو كراع لقبلت»[2] .

وها هو رسول الله ﷺ ينفر من الكبر ومن عاقبته ومغبته فقال ﷺ: «ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل جواظ متكبر»[3] .

العتل: الغليظ الجافى. **الجواظ:** هو الضخم الجسم المختال.

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم - قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذَّاب، وعائل مستكبر»[4] .

ومن نماذج التواضع المشرِّفة:

ما روى عن أبى بكر ﵁ أنه كان يحلب للحى أغنامهم فلما بويع له بالخلافة، قالت جارية من الحى: الآن لا تُحلب لنا منائحُ - أى أغنام - دارنا فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمرى لأحلبنها لكم، وإنى لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية من الحى: يا جارية أتحبين أن أُرغى لك أو أُصرّح؟ فربما قالت: أرغ، وربما قالت صرّح، فأى ذلك قالت فعل.

وروى عن عمر بن الخطاب ﵁ لما خرج إلى الشام ومعه أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال

---

(١) رواه البخارى، (٦٧٦) .
(٢) رواه البخارى، (٢٥٦٨) .
(٣) رواه الإمام أحمد.
(٤) رواه مسلم (١٠٧).

أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك؛ فقال عمر: لو قال هذا غيرك يا أبا عبيدة لجعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ. إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أزلنا الله.

وروى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه. فقال الضيف: إذًا أنبه الغلام؟ فقال عمر: إنها أول نومة نامها فلا تنبهه، وذهب إلى البطة وملأ المصباح زيتًا، ولما قال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ أجابه قائلاً: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص منى شيء، وخير الناس من كان عند الله متواضعًا.

❁ ❁ ❁

الرحمة

الرحمة هى العاطفة الحية النابضة بالحب والرأفة... والرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى - عز وجل - فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شىء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة[1] .

وكان من صلاة الملائكة ما ذكره ربنا فى كتابه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[2] .

فالرحمة خلق من أخلاق المسلم إذ هى دليل على صفاء نفسه وطهارة روحه، ولهذا فالمسلم يحب الرحمة ويبذلها ويوصى بها ويدعو إليها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[3] .

وأمر النبى ﷺ بالرحمة فقال: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[4] . فرحمة العباد بعضهم البعض تستوجب رحمة الله سبحانه وتعالى. قال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»[5] .

فالرحمة دليل على القلب الصافى والنفس الطيبة لقوله ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقى»[6] .

أما غلاظ القلب من الجبارين والمتكبرين فهم من أبعد الناس عن الله قال ﷺ: « ..... إن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب»[7] .

وكان رسول الله ﷺ دومًا ما يوصى الصحابة بالرحمة ويذكرهم برحمة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) خلق المسلم بتصرف يسير، ص ١٨٧ .

(٢) سورة غافر، الآية: ٧ .

(٣) سورة البلد، الآيتان: ١٧ ، ١٨ .

(٤) ذكره البيهقى فى السنن الكبرى، (٩/٤١) .

(٥) رواه البخارى (٢/١٠٠)، (٨/١٦٦) .

(٦) رواه الترمذى (١٩٢٣)، وأبو داود (٤٩٤٢) .

(٧) رواه الترمذى.

فعن عمر بن الخطاب قال: قُدم على رسول الله ﷺ سبى فإذا امرأة من السبى تسعى قد تحلب ثديها. إذا وجدت صبيًا فى السبى أخذته فألزمته ببطنها فأرضعته. فقال ﷺ : «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟» قلنا: لا والله وهى تقدر على ألا تطرحه. قال: «فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها»[1] .

ولو تأملنا فى كثير من أسماء الله الحسنى لوجدناها تنبع من معانى الرحمة والعفو.

وقد جاء فى الحديث القدسى: «إن رحمتى تغلب غضبى»[2] .

ومن صور الرحمة التى كانت سببًا للمغفرة للرجل ما ذكره رسول الله ﷺ فى حديثه الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرًا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ بهذا مثل الذى بلغ بى، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له». قالوا: يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجرًا؟ قال: «فى كل ذات كبد رطبة أجر»[3] .

وفى رواية الإمام مسلم: «أن امرأة بغيًا رأت كلبًا فى يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها فغفر لها به». فلو تأملنا فى هذين الحديثين لوجدنا أن سبب مغفرة ذنب الرجل فى الرواية الأولى ومغفرة ذنب المرأة البغى فى الرواية الثانية إنما سببه الرحمة؛ لأن الذى حرك الرجل والمرأة هى عاطفة الرحمة فى قلبيهما.

وبعكس هذا نجد المرأة التى نزعت منها الرحمة عُذبت بسبب ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، وقيل لها: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض»[4] .

---

(1) رواه البخارى.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه البخارى (٣/١٧٤)، (٨/١١) .

(4) رواه البخارى (٥٤)، ومسلم (١٥١ ، ١٥٢) .

ومن صور رحمته ﷺ ما رواه البخارى عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «إنى لأدخل فى الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»[1] .

فالرحمة التى ننشدها من المسلم ليست مجرد إحساس داخلى أو عاطفة جياشة، وإنما نتمنى أن تتقلب إلى عالم الواقع المحسوس والمشاهد فنرى العفو عن ذى الذلة، والمغفرة لصاحب الخطيئة وإغاثة الملهوف، ومساعدة الضعيف وإطعام الجائع وكسوة العارى ومواساة الحزين، والعطف على اليتيم، والسؤال عن الأخ، وإشاعة البسمة وإدخالها على المحزون؛ فبهذا نكون قد حققنا هذا الخلق الفاضل الذى يحبه الله ويرضاه عنا.

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخارى (٧٠٩) .

العدل

العدل: لفظ له معنى عام. فهو سمة لأهل الخير، وهو إعطاء كل ذى حق حقه. والعدل من أوجب الواجبات وألزمها، والله - عز وجل - أمر به فى كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾(١) والله سبحانه وتعالى يحب العدل وأهله وأخبر بذلك فى قوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢) .

والإقساط هو العدل، وأخبر الرسول الكريم ﷺ بجزاء المقسطين عند الله .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور؛ الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا»(٣) .

وللعدل مجالات وصور يتجلى فيها. منها العدل فى الكلمة والحكم بين الناس وهذا بإعطاء كل صاحب حق حقه.

فقد قال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(٤) .

فالمسلم يعدل فى حكمه ويتحرى فيه العدل استجابة لأوامر الله عز وجل. وقال النبى ﷺ مبينًا الجزاء العظيم لمن يتحرى العدل: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى، ورجل قلبه مُعلَّق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(٥) .

وكذلك يكون العدل فى الكلمة والقول فلا يقول المسلم إلا صدقًا ولا يشهد زورًا.

قال تعالى فى كتابه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾(٦) .

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠ .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩ .

(٣) رواه مسلم، (١٨٢٧) .

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨ .

(٥) متفق عليه.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢ .

قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»[١] .

والعدل يكون مع العدو والصديق:

فالله - عز وجل - يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٢] .

فالكثير من الناس إذا ذكر لهم صديق أثنى عليه ولو كان يعلم أنه لا يستحق الثناء، وإذا ذكر له خصمه ذمَّه ولو كان يعلم أنه خلاف ما يقول وهو بهذا مخالف لما أمرنا الله به ومخالف لفعل النبى ﷺ وقوله. أليس قد أثنى ﷺ على النجاشى ووصفه بأنه ملك لا يُظلم عنده أحدٌ مع أنه حينها كان كافرًا لم يسلم بعد[٣] .

ومن صور عدله ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحكامه ما روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «أن قريشًا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حبُّ رسول الله ﷺ فكلَّمه أسامه، فقال رسول الله ﷺ: «يا أسامه أتشفع فى حد من حدود الله»، ثم قام فاختطب. فقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٤] .

ومن صور العدل عند الصحابة رضي الله عنهم :

ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى أثناء خلافته، إذ برجل من أهل مصر يدخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، فقال عمر: لقد عذت بمجير، فما شأنك؟ قال سابقت على فرس ابنًا لعمرو بن العاص فسبقته، فجعل يقمعنى بسوطه ويقول: أنا ابن الأكرمين فبلغ ذلك عمرًا أباه

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥) من حديث طويل.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام، جـ١، ص ٢٨٠ .
(٤) رواه البخارى ومسلم واللفظ له.

فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانطلقت منه فهذا الحين جئتُك، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وهو أمير على مصر: «إذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان» وقال للمصرى أقم حتى يجيء، فقدم عمرو فشهد الحج فلما قضى عمر الحج، وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، قام المصرى فرمى إليه عمر بالدرة وضربه فلم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين. فقال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، قال: ضعها على صلعة عمرو. قال: يا أمير قد ضربت الذى ضربنى. قال: أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع، ثم قال لعمرو: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا.

وإذا تم العدل وانتشر فسوف تنتشر الطمأنينة بين الناس وتعمُّ الراحة والبهجة فى النفوس.

فهذا عمر بن الخطاب الذى إذا ذُكِر ذُكِر العدل وإذا ذُكِر العدل ذُكِر عمر ﷺ، لما دخل عليه رسول قيصر وسأل عنه فأشاروا إليه وهو نائم فوق الرمل تحت شجرة وقد توسد درته فلما رآه على هذه الحال قال: حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر.

❁ ❁ ❁

الحلم والرفق

المسلم فى تعامله مع الآخرين واسع الصدر، رحب الأفق، حلمه يمتد ليشمل الجميع، وليقبل الأذى ويلتمس المبررات لأغلاط الناس.

فالمسلم أبعد ما يكون عن الغضب، فهو كاظم لغيظه، عافٍ عن غيره مستجيبًا لأوامر الله سبحانه وتعالى: قال عز وجل: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١] .

قال ابن كثير فى تفسير الآية: أى إذا ثار بهم الغيظ كتموه فلم يعملوه وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم.

وقد روى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»[٢] .

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٣] .

ويقول سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٤] .

وهذا رسول الله ﷺ يثنى على أشج عبد قيس؛ لأنه اتصف بالحلم والأناة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[٥] .

أخبرنا رسول الله ﷺ أن الله - عز وجل - متصف بالرفق سبحانه وتعالى وهو يحب هذا من عبده. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله»[٦] .

وفى رواية قال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه»[٧] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤ .
(٢) رواه الشيخان من حديث مالك.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩ .
(٤) سورة الشورى، الآية: ٤٣ .
(٥) رواه مسلم، (١٧) .
(٦) رواه البخارى (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).
(٧) رواه مسلم (٢٥٩٣) .

وبيَّن رسول الإنسانية أن الحلم والرفق زينة للأمور كلها إذا وجد فيها.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه»[1] .

فالرفق باب عظيم من أبواب الخير فمن أعطى الرفق والحلم فقد فتحت له طرق الخير، ومن حُرم الرفق فقد حُرِم من خير وفير. فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله»[2] .

وربما خير الرفق واللين ما أوضحه ﷺ فى الحديث الذى رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل»[3] .

ومن صور الحلم فى حياة رسول الله ﷺ:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابى فى المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبى ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[4] .

وروى أن أعرابيًا جاء إلى النبى ﷺ يطلب منه شيئًا، فأعطاه ثم قال له: «أحسنت إليك؟» قال الأعرابى: لا، ولا أجملت! فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا. ثم قام ودخل منزله فأرسل إليه وزاده شيئًا، ثم قال له: «أحسنت إليك؟» قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرةٍ خيرًا، فقال له النبى: «إنك قلت ما قلت آنفًا، وفى نفس أصحابى من ذلك شىء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك». قال: نعم فلما كان الغد جاء فقال النبى ﷺ: «إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضى كذلك». قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

---

(١) مسلم، (٢٥٩٤) .
(٢) رواه مسلم، (٢٥٩٢) .
(٣) صحيح لغيره رواه الترمذى وأحمد .
(٤) رواه البخارى ومسلم.

فقال رسول الله ﷺ: «مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورًا. فناداهم صاحبها فقال لهم: خلوا بينى وبين ناقتى. فإنى أرفق بها منكم وأعلم. فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها، واستوى عليها. وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه دخل النار».

يقول الشيخ الغزالى معلقًا على هذه الرواية: «إن الرسول الحليم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابى أول الأمر، وعرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة فى التعبير والإسراع بالشر، وأمثال هؤلاء لو عُجلوا بالعقوبة لقضت عليهم، ولما كانت ظلمًا لكل المصلحين العظماء لا ينتهون بمصائر العامة إلى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من أناتهم على ذوى النزق حتى يلجئوهم إلى الخير إلجاء... ويطلقون ألسنتهم تلهج بالثناء»[1] .

من صور الحلم فى حياته ﷺ:

ما روى أنه ﷺ كان جالسًا ذات يوم وإذا برجل من أحبار اليهود يسمى زيد بن سنعة، وهذا الرجل من علماء اليهود، فدخل على الرسول ﷺ واخترق صفوف الصحابة حتى أتى النبى ﷺ وجذبه من مجامع ثوبه وشدَّه شدًا عنيفًا وقال بغلظة أدِّ ما عليك من الدَّين يا محمد، إنكم يا بنى هاشم قوم تماطلون فى أداء الديون.

وكان النبى ﷺ قد استدان من هذا اليهودى بعض الدراهم ولكن لم يحل موعد أداء الدَّين بعد. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهزَّ سيفه وقال: ائذن لى بضرب عنقه يا رسول الله. فقال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما لهذا دعوناك لقد كنت أنا وهو فى حاجة منك إلى غير ذلك. مُره بحسن الطلب ومرنى بحسن الأداء». فقال اليهودى: والذى بعثك بالحق يا محمد ما جئت لأطلب منك دينًا إنما جئت لأختبر أخلاقك. فأنا أعلم أن موعد الدين لم يحُلّ بعد، ولكنى قرأت جميع أوصافك فى التوراة فرأيتها كلها تتحقق فيك إلا صفة واحدة لم أجربها معك وهى أنك حليم عند الغضب، وإن شدة الجهالة لا تزيدك

---

(١) خلق المسلم، ص ٩٥ .

إلا حلمًا، ولقد رأيتها اليوم فيك فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله. أما الدَّين الذى عندك فقد جعلته صدقة على فقراء المسلمين.

وكان رسول الله ﷺ من حلمه ورفقه لا يختار إلا أيسر الأمور ما لم يكن فيه ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله بين أمرين قط إلاَّ أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان ثم إثم كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قط إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى»[1] .

بل كان النبى ﷺ دومًا ما يوصى باليسر والبعد عن العسر؛ لأن اليسر فى الأمور هو صورة من صور الحلم فى الأمور.

فعن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يسِّروا ولا تعسِّروا وبشروا ولا تنفروا»[2] .



(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخارى (٦٩) ومسلم (١٧٣٢).

الحياء

قال العلماء: حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير فى حقِّ ذى الحق.

الحياء أمارة صادقة على طبيعة الإنسان فهو يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه[1] . والحياء شعبة من الإيمان . فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبةً فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[2] .

والحياء قرين للإيمان فهما متلازمان وكل منهما دليل على صاحبه. قال ﷺ: «الحياء والإيمان قرناء جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[3] .

والحياء باب كبير من طرق الخير فمن التزم به وتخلق به ربح خيرًا كثيرًا.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير»[4] .

وفى رواية لمسلم: «الحياءُ خيرٌ كله» أو قال: «الحياء كله خيرٌ». وقد وصى الإسلام أبناءه بالحياء، وجعل هذا الخلق السامى أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل.

قال ﷺ: «إن لكل دين خلقًا، وخلق الإسلام الحياء»[5] .

وروى عن الجنيد - رحمه الله تعالى - أنه قال: الحياء رؤية الآلاء - أى النعم - ورؤية التقصير؛ فيتولد بينهما حالة تسمى حياء.

وكان النبى ﷺ وهو الأسوة والقدوة أشد حياءً من العذراء فى خدرها. فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه فى وجهه»[6] .

---

(١) خلق المسلم، (١٤٥) .
(٢) رواه البخارى (٩) ، ومسلم (٣٥) .
(٣) رواه الحاكم (١/٢) وصححه على شرط الشيخين.
(٤) رواه البخارى (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) .
(٥) رواه مالك.
(٦) رواه البخارى (٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠) .

وإذا كان هذا هو حال النبى ﷺ فالمسلم مأمور بالاقتداء بنبيه بل والمحافظة على هذا الخلق والدعوة إليه إذ الحياء من الإيمان، والإيمان مجمع كل الفضائل وباب كل الخيرات، فروى عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان»(١) .

والمسلم يحافظ على الحياء فى أحواله المختلفة فهو فى الكلام يُطهِّر فمه من قول الفحش بأن تتفلت الألفاظ البذيئة على لسانه.

فليس من أخلاق المسلم البذاء ولا الجفاء. قال ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار»(٢) .

ومن الحياء أن يعرف المسلم لأصحاب الحقوق منازلهم وأن يؤتى كلَّ ذى فضل فضله. فقد جاء فى الحديث الذى رواه الإمامُ أحمد: «اللهم لا يدركنى زمان لا يتبع فيه العليم، ولا يستحى فيه الحليم».

وعن عبد الله بن بُسر: لقد سمعت حديثًا منذ زمان: «إذا كنت فى قوم فتصفحت وجوههم فلم ترَ فيهم رجلاً يُهاب فى الله عز وجل، فاعلم أن الأمر قد رَقَّ»(٣) .

وأفضل منازل الحياء وأعلاها قدرًا الحياء من الله عز وجل الذى خلقنا وهدانا ورزقنا.

فإن حق الله على عباده عظيم ولو قدروه حق قدره لسارعوا إلى الخيرات التى يفعلونها من تلقاء أنفسهم، ولباعدوا عن السيئات خجلاً من مقابلة الخير المحض بالجحود والخسة (٤) .

فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء». قلنا نستحى من الله يا رسول الله – والحمد لله – قال: «ليس ذلك، الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدينا، وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»(٥) .

---

(١) رواه البخارى (٢٤) ومسلم (٣٦) .
(٢) رواه مسلم فى الإيمان (٥٩) .
(٣) رواه أحمد (١٨٨/٤) .
(٤) خلق المسلم، ص ١٥٠ .
(٥) رواه الترمذى.

وروى أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة قال: قلت: يا رسول الله! عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك» قلت: يا نبى الله إذا كان القوم بعضهم فى بعض قال: «إن استطعت ألا يراها أحدٌ فلا يرينها» قلت: إذا كان أحدنا خاليًا قال: «فالله أحق أن يستحيا منه من الناس».

يقول الغزالى: «إن الإنسان فى حضرة الرجال الذين يُجلُّهم ويحرص على استرضائهم يضبط سلوكه ضبطًا محكمًا. فيتكلم بقدر ويتصرف بحذر، والمسلم الذى يعرف من تعاليم دينه أنه لا يغيب عن الله أبدًا، لأنه ماثل فى حضرته ليلاً ونهارًا، ينبغى أن يكون تهيبه لجلال الله أعظم، وتأدبه بشرائعه أحكم وذلك معنى الأثر «استحيى من الله كما يُستحى من أولى الهيبة من قومك»».

وفى الأثر: استحيى من الله كما تستحى من الرجل الصالح من قومك. والحياء كخلق للمسلم لا يمنعه من قول الحق أو السعى على الرزق أو طلب العلم أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر.

فلم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية أن تقول: يا رسول الله: إن الله لا يستحى من الحق فهل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت. فيقول لها: «الرسول ﷺ - ولم يمنعه الحياء -: «نعم إذا رأت الماء»[1].

وخطب عمر مرة فعرض لغلاء المهور فقالت له امرأة: أيعطينا الله وتمنعنا يا عمر، ألم يقل الله: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾[2] فلم يمنعها الحياء أن تدافع عن حق نسائها، ولم يمنع عمر أن يقول معتذرًا: كل الناس أفقه منك يا عمر كما خطب مرة فى المسلمين وعليه ثوبان فأمر بالسمع والطاعة فنطق أحدُ المسلمين قائلاً: فلا سمع ولا طاعة يا عمر! عليك ثوبان وعلينا ثوب واحد. فنادى عمر بأعلى صوته: يا عبد الله بن عمر فأجابه ولده لبيك أبتاه. فقال له: أنشدك الله ليس أحدُ ثوبى هو ثوبك أعطيتنيه؟ قال: بلى والله. فقال الرجل: الآن نسمع ونطيع يا عمر.

فليلتزم المسلم بالحياء ولا يمنعه من حق أو طلب علم. فقديمًا قالوا: ضاع العلم بين الحياء والكبر.

---

(١) رواه البخارى (٢٨٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٠ .

الإحسان

الإحسان: خلق من الأخلاق التى يكمل بها دين العبد، لذلك نرى الله - عز وجل - أمر به فى كثير من الآيات القرآنية.

❖ «الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربَّه فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه وينظر إليه فى حال عبادته....»(١) .

ومن يتأمل ذكر الإحسان فى القرآن الكريم يراه تارة مقرونًا بالإيمان كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

ويأتى الإحسان تارة مقرون بالإسلام كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ .

وكقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ .

وتارة يأتى مقرونًا بالتقوى كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ والإحسان أحد مبانى الدين الثلاثة إذ إن الدين الإسلامى مبناه على ثلاثة أمور: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وقد جاء هذا الترتيب لهذه الأمور الثلاثة التى عليها يقوم دين العبد فى الحديث المتفق عليه.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال ﷺ: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٣٦ .

ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرنى عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: صدقت. قال فأخبرنى عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرنى عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون فى البنيان». ثم انطلق فلبث مليًّا، ثم قال: «يا عمر أتدرى من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(١) .

ومن يتأمل هذا الحديث يرى أن الإحسان جاء فى المرتبة الثالثة بعد الإسلام والإيمان فهو تمام الأمر، كما أن معناه جاء واضحًا وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وهذا يربى فى العبد شعور المراقبة لله عز وجل.

والإحسان من أعلى مقامات الطاعة وقد أمر الله به فقال عز وجل: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾(٣) .

وبيَّن الرسول الأمين ﷺ أن الله أمر بالإحسان فى جميع الأمور وإن اختلفت فهو خلق ملازم للمسلم.

قال ﷺ: «إنَّ الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح وليُحِد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»(٤) .

فالإحسان يكون فى العبادات كما قال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وأخرج الطبرانى من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله! حدثنى بحديث واجعله موجزًا، فقال: «صلِّ صلاة مودع، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك»(٥)

والإحسان يكون مع الخلق فنحن مأمورين به مع الوالدين ومع الأقارب

---

(١) رواه مسلم،(٨) . (٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥ . (٣) سورة النحل، الآية: ٩ .
(٤) رواه مسلم (١٩٥٥) . (٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط، وهو حديث حسن.

واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ومع الخادم كذلك. وقد جمع الله - عز وجل - كل هذه الأنواع التى يجب أن يراعى الإحسان فى معاملتها فى قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[1] .

ومن صور الإحسان المضيئة والمشرقة ما قاله النبى ﷺ يوم أحد فى دعائه على المشركين. فقد كُسِرت رباعيته، وشجُّوا وجهَه الشريف، وقتلوا عمَّه ومثَّلوا به فلما طُلب منه ﷺ أن يدعو عليهم قال: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون»[2].

ومن صور الإحسان المضيئة على وجه التاريخ ما روى عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى لا يقيم وزنًا عند اختياره لبنت بائعة اللبن زوجًا لابنه عاصم للحسب أو النسب، ولا للمال أو الجاه، وإنما أقام الوزن كلَّه لما أظهرته تلك الفتاة الطيبة من إيمان بالله ومراقبة له فى السر والعلانية، ويقين بأنه جل وعلا لا تخفى عليه خافية حتى قد بلغت - وهى الفتاة الرقيقة الحال، الفقيرة فى الجاه والمال - فى عبادتها لربها درجة الإحسان، فهى تعبد الله كأنها تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراها.

كان الفاروق عمر رضي الله عنه يتفقد أحوال الرعية ذات ليلة فسمع امرأة تقول لابنة لها: قومى إلى ذاك اللبن فامزجيه بالماء، فأجابت الفتاة: يا أماه وما علمت بما كان من عزم أمير المؤمنين؟ قالت المرأة: وما كان من عزم يا بنية؟

قالت: إنه أمر مناديه فنادى: لا يشاب اللبن بالماء، فردت المرأة قائلة يابنية: قومى إلى اللبن فامزجيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر. فردت الفتاة على الفور: يا أماه إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم.

إن كان عمر لا يرانا فإن الله يرانا. والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء. فلما أصبح عمر، قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا فإن

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦ .

(٢) رواه البخارى (٦٧٤٣)، ومسلم (١٧٩٢) .

هناك صبية، فإن لم تكن مشغولة فتزوج بها، لعل الله أن يرزقك منها نسمة مباركة.

وصدقت والله فراسة الفاروق رضي الله عنه فقد تزوَّج عاصم بتلك البنية فولدت له «أم عاصم» فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمرَ بن عبد العزيز الأمير العادل رحمه الله .

وصدق الله العلي العظيم إذا يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[١] .

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠ .

العطاء والكرم

من أخلاق المسلمين الصادقين العطاء والجود فالمسلم يتحلى بالسخاء والكرم ويبتعد عن الشح والبخل.

فالله عز وجل دعا إلى الإنفاق وحثَّ عليه وجعله بابًا عظيمًا من أبواب الخير ينفع صاحبه حياةً ومماتًا. وحذر صاحب المال من الشُّح به حتى لا يأتى يوم يندم فيه صاحبه ويتمنى أن لو قدم. قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

بل أراد الله من عباده المؤمنين أن يقدموا الخير إلى الناس ليلاً ونهارًا فلا يُشغلوا عنه وأثنى الله على هذا الصنف قائلاً: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] .

وبيَّن الله تعالى أنه يخلف على صاحب الإنفاق ما ينفق فقال عز وجل: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[3] .

وهذا رسول الإنسانية ﷺ خير من اتصف بهذه الصفة الحميدة من بنى البشر. فعن جابر رضي الله عنه قال: «ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا»[4] .

وكان ﷺ يُعلِّم فى بيته فضلَ الجود والسخاء والكرم. فعن أبى ميسرة عن عائشة: أنهم ذبحوا شاة فقال النبى ﷺ: «ما بقى منها؟»، قالت: ما بقى منها إلا كتفها، قال: «بقى كلها غير كتفها»[5].

وهذا تعليم منه ﷺ أن الذى يُنْفَق ويجاد به هو الذى يبقى للإنسان والذى يُبخل به ويُدَّخر هو الذى يفنى.

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ١٠ .

(٢) سورة سورة البقرة، الآية: ٢٧٤ .

(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٩ .

(٤) رواه البخارى، ومسلم.

(٥) رواه الترمذى (٤/٦٤٤)، وقال: حديث صحيح.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله عز وجل»[1] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال: بينما هو يسير مع النبى ﷺ مقفلهُ من حنين، فعلق الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبى ﷺ فقال: «أعطونى ردائى، فلو كان لى عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذابًا ولا جبانًا»[2] .

«مَقْفَلَهُ»: أى حال رجوعه. «السمرة»: شجرة.

العضاةُ: شجر له شوك.

ومن صور الكرم والعطاء التى فعلها رسول الله ﷺ ولا نكاد نرى مثلها ما روى عن أنس رضي الله عنه قال: ما سُئل رسول الله ﷺ عن الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلامُ أحب إليه من الدنيا وما عليها»[3] .

ولما للعطاء من منزلة رفيعة فى هذا الدين حيث إن هذه صفة يحبها الله. وهذا ما جاء فى قوله ﷺ : «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق»[4] .

فنجد رسول الله ﷺ يُبيِّن لنا أن الغبطة تكون لهذا الصنف الكريم من الناس. فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطة على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها»[5] .

كما أن رسول الله ﷺ رغّب فى الإنفاق والعطاء بصور شتى.

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخارى (٢٨٢١). (٣) رواه مسلم (٢٣١٢) .

(٤) ذكره ابن حجر فى الفتح، والسيوطى فى جمع المواقع.

(٥) صحيح البخارى (٧٣)، ومسلم (٨١٦) .

فعن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقوا النار ولو بشق تمرة»[1] .

وروى أنه ﷺ قال: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال ﷺ: «فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر»[2] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا»[3] .

حتى إن رسول الله قد صحح بعض المفاهيم عند هؤلاء الذين يضنون بمالهم خشية الفقر حتى لا يكون لهؤلاء وأمثالهم حجة. فعن أبى كبشة عمرو بن سعد الأنمارى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثًا فاحفظوه. قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل.

وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء»[4] .

وحذر رسول الله ﷺ من الشح وبيَّن أنه سبب للهلاك والبوار. فقال ﷺ: «اتقوا الشح فإن الشح أهلك مَن كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[5] .

---

(١) صحيح: البخارى (٦٠٢٣)، مسلم (١٠١٦) . (٢) رواه البخارى (٦٤٤٢) .
(٣) رواه البخارى (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) . (٤) رواه أحمد (٤/٢٣٠) والترمذى (٢٣٢٥) .
(٥) رواه مسلم (٢٥٧٨) .

فإذا كان الشح يهلك ويجعل أصحابه يسفكون الدماء، فإن الكرم يبارك صاحبه ويجعله يربح ويصل إلى أعلى المنازل وهو فى حرز فى الدنيا فلا ضائقة ولا مصيبة. فمن أعجب ما روى بسند صحيح عن النبى ﷺ قال: «بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا فى سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء، فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك – قال: فلان، للاسم الذى سمع فى السحابة، فقال له: يا عبد الله لِمَ تسألنى عن اسمى؟ فقال: إنى سمعت صوتًا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثًا، وأرد فيها ثلثه»[1] .

«الحرة»: الأرض الملبسةُ حجارة سوداء. و«الشرجة»: هى مسيل الماء.

ولعظم هذا الخلق الفاضل وأجره الجزيل كان الصحابة ﷺ يتفانون فيه بل يتسابقون فيه.

فروى عن الصحابى الجليل أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه تصدق بماله كله فقيل له: «وما أبقيت لأهلك يا أبا بكر!» قال: أبقيت لهم الله ورسوله يا رسول الله!

وروى أنه لما تجهَّز رسول الله ﷺ لحرب الروم – أى جيش العسرة – وكان المسلمون فى ضيق، خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه بصدقة قدرها عشرة آلاف دينار وثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسون فرسًا، فجهَّز بذلك الجيش جميعه.

وروى أن عائشة رضي الله عنها بعث إليها معاوية رضي الله عنه بمال قدره مائة وثمانون ألف درهم، فدعت بطبعه فجعلت تقسمه بين الناس، فلما أمست قالت لجاريتها. هلمى فطورى فجاءتها بخبز وزيت وقالت لها: ما استطعتِ فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت: لها لو كنت ذكرتنى لفعلت» . فـ «لا إله إلا الله».

وسبحان من زرع فى القلوب حب الآخرة وبغض الدنيا وإيثار الباقى على الفانى.

(١) رواه مسلم (٢٩٨٤) .

الإيثار

الإيثار: خلق من الأخلاق الكريمة التى يحث عليها الإسلام: فالمسلم يعطى غيره بينما هو محتاج ويفضل أخاه على نفسه فى موضع هو أحوج فيه لمثل هذا الأمر، وهذا الخلق ليس غريبًا على مسلم تشبعت روحه بمعانى الكمال وانطبعت نفسه بطابع الخير وحبه للآخرين.

وقد وجد هذا الخلق الفاضل فى المسلمين الأولين فذكر هذا الخلق عنهم على سبيل المدح لهم والدعوة للتحلى به.

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] .

قال ابن كثير فى تفسير الآية: أى يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤون بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك[2] .

وهذا الذى ذكره ابن كثير هو معنى الإيثار. وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل»[3] .

وإنما فضلت هذه الصدقة على غيرها لحاجة صاحبها إليها وإثاره غيره بها ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[4] .

قال المفسرون: والضمير فى قوله وحبه عائدٌ على الطعام ويكون المعنى على هذا ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له.

وهذا كله من الإيثار بمعنى تفضيل الغير على النفس.

والمسلم إنْ تَعَلَّمَ هذا الخلق ترقى وتدرج حتى يصل إلى مرتبة البر التى قال فيها الله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[5] .

ولهذا قال النبى ﷺ: «أفضل الصدقة أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر»[6] .

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩ . (٢) تفسير ابن كثير، ص (٢٧/٤) . (٣) المسند، (٣٥٨/٢) .
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٨ . (٥) سورة آل عمران، آية: ٩٢ . (٦) رواه مسلم، (٩٣/٣) .

ومعناه أى تتصدق وتُخْرج وأنت فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه.

ومن صور الإيثار المُشرِّفة التى حدثت فى عهد النبى ﷺ ومدحها:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء. فقال النبى ﷺ: «من يُضيف هذا الليلة؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمى ضيف رسول الله ﷺ.

وفى رواية قال لامرأته: هل عندك شىء؟ فقالت: لا إلا قوت صبيانى. قال: عَلِّليهم بشىء وإذا أرادوا العشاء. فنوميهم وإذا دخل ضيفنا، فأطفئي السراج، وأريه أنَّا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبى ﷺ فقال: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»[1] .

النبى ﷺ يُعلِّم أمته كيف يكون الإيثار؛ فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافى الثلاثة، وطعام الثلاثة كافى الأربعة»[2] .

وفى رواية لمسلم رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية»[3] .

وهذا الحديث إنما يزرع فى نفس المؤمن عدم الخوف من النقص إن أخرج أو أعطى أخاه، وإنما هى البركة التى تضاعف الأشياء ببركة هذه الأخلاق التى ترضى بها الله.

وكان ﷺ يغرس دومًا هذا الخلق فى صحابته ويذكرهم به حتى يقضى على الأثرة والأنانية التى قد تتمكن من قلوب بعض المرضى.

---

(١) رواه البخارى (٢٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) .
(٢) رواه مسلم (٢٠٥٨).
(٣) البخارى (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٥٩) .

فعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»[1] فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل».

وأثنى رسول الله ﷺ على الأشعريين لتخلقهم بهذا الخلق الفاضل ووصفهم بما يفعلونه لدرجة رفعتهم بين الناس حتى قال ﷺ: «هم منى وأنا منهم» فيالها من كرامة.

فعن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم». ومعنى كلمة «أرملوا» أى فرغ زادُهُم أو قارب الفراغ.

ومن صور إيثاره ﷺ غيره بما كان محتاجًا إليه:

ما روى عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة، فقالت نسجتها بيدى لأكسوكها، فأخذها النبى ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فقال فلان: اكسنيها ما أحسنها. فقال: «نعم» فجلس النبى ﷺ فى المجلس ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه. فقال له القوم: ما أحسنت، لَبِسَهَا النبى ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً. فقال: إنى واللّه ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفنى. قال سهل: فكانت كفنه»[2] .

ومن صور الإيثار المشرفة التى تكتب على جبين التاريخ بسطور من ذهب ما حدث يوم اليرموك.

قال حذيفة العدوى: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء وأنا أقول: إن كان به رَمَق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنابه فقلت: أسقيك؟

---

(١) رواه مسلم (١٧٢٨) .

(٢) رواه البخارى، (٦٠٣٦) .

فأشار إلىّ أن نعم، فإذا برجل يقول: آه فأشار ابن عمى إلىّ أن انطلق إليه به، فجئت فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك فسمع به آخر فقال: آه فأشار هشام أن انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

ومن صور الإيثار المشرفة أيضًا بين المسلمين ما روى أنه اجتمع عند أبى الحسن الأنطاكى نيفٌ وثلاثون رجلاً لهم أرغفة معدودة لا تكفيهم شبعًا، فكسروها وأطفؤوا السراج وجلسوا للأكل، فلما رفعت السفرة فإذا الأرغفة بحالها لم ينقص منها شىء؛ لأن أحدًا منهم لم يأكل إيثارًا للآخرين على نفسه حتى لم يأكلوا جميعًا، وهكذا آثر كل مسلم جائع منهم غيره، فكانوا من أهل الإيثار جميعًا فهذه الأحاديث عن الإيثار والصور إنما هى تمثل نموذجًا يحتذى به المسلم ليصل به إلى خيرى الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

معنى المواساة:

قال ابن مَسْكَوَيْهِ: المواساة هى معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتُهُم فى الأموال والأقوات.

وقال ابن حجر: المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه فى ماله سواء. وقيل هى: المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق.

قال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله -: المواساة من أخلاق المؤمنين.

أنواع المواساة:

قال ابن القيم - رحمه الله -: المواساة للمؤمنين أنواع:

أولاً: مواساة بالمال. ثانيًا: مواساة بالجاه.

ثالثًا: مواساة بالبدن والخدمة. رابعًا: مواساة بالنصيحة والإرشاد.

خامسًا: مواساة بالدعاء والاستغفار لهم. سادسًا: مواساة بالتواضع لهم.

صور من المواساة:

أ- السيدة خديجة رضي الله عنها أول من واست النبى ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبى ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء. قالت: فَغِرْتُ يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله - عز وجل - بها خيرًا منها. قال: «ما أبدلنى الله - عز وجل - خيرًا منها. قد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله - عز وجل - ولدها إذ حرمنى أولاد النساء»(١) .

ب- أبو بكر رضي الله عنه ثانى من واسى النبى ﷺ: عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن رُكبتيه، فقال النبى ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر» فسلَّم وقال: يا رسول الله! إنى كان

(١) رواه أحمد فى مسنده (٦/١١٧) .

بينى وبين ابن الخطاب شىء، فأسرعت إليه ثم ندمتُ، فسألتُهُ أن يغفر لى فأبى عَلىَّ فأقبلت إليك. فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» (ثلاثًا).

ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقال: لا، فأتى إلى النبى ﷺ فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر (أى تذهب نضارته من الغضب) حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظْلَمُ (مرتين) . فقال النبى ﷺ : «إن الله بعثنى إليكم فقلتم كَذَبْتَ وقال أبو بكر: صَدَق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى «مرتين» فما أوذى بعدها»[1] .

مواساة الأنصار للمهاجرين:

عن أنس قال: لما قدم النبى ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله! ما رأينا قومًا أبذل من كثير، ولا أحسن مواساةً من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم؛ لقد كَفَوْنَا المُؤْنَةَ وأشركونا فى المَهْنَا حتى خفْنَا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبى ﷺ: «لا، ما دَعَوْتُمُ الله لهم وأثنيتم عليهم».

مواساة الأنصار للنبى ﷺ ترفع مكانتهم وتجعل النبى يتمنى أن يكون منهم. عن أبى هريرة ﷺ أنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «لو سلكت الأنصار واديًا أو شِعبًا لسلكت شِعب الأنصار أو وادىَ الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار» فقال أبو هريرة: فما ظلم بأبى وأمى ﷺ لآوَوْه ونصروه وواسوه».

المواساة من صفات النبى ﷺ ومن أخلاقه:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب: إنا والله قد صَحِبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحَضَر،، يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير، وإنّ ناسًا يُعَلِّمُونِى به عسى ألا يكون أحَدُهم رآه قط»[2] .

وروى الإمام مسلم عن المقداد رضي الله عنه أنه قال: «أقبلتُ أنا وصاحبان لى، وقد ذهبت أسماعُنا وأبصارُنا من الجهد – أى الجوع والمشقة – فجعلنا نعرض أنفسنا

(١) رواه البخارى.   (٢) رواه الإمام أحمد بسند صحيح.

على أصحاب رسول الله ﷺ فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبى ﷺ فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال النبى ﷺ: «احتلبوا هذا اللبن بيننا»، قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبى ﷺ نصيبه. قال: فيجىء من الليل فيُسلم تسليمًا لا يُوقظ نائمًا، ويُسمِعُ اليقظان. قال: ثم يأتى باب المسجد فيصلى، ثم يأتى شرابه فيشرب، فأتانى الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبى، فقال: محمد يأتى الأنصار فيُتْحفُونَه ويُصيبُ عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت فى بطنى - أى دخلت وتمكنت منه - وعلمت أنه ليس إليها سبيل. قال ندَّمنى الشيطان، فقال: ويحك! ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجىء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك. فتذهب دُنياك وآخرتك، وَعَلَىَّ شملة إذا وضعتها على قَدَمى خرج رأسى وإذا وضعتها على رأسى خرج قدماى وجعل لا يجئنى النوم، وأما صاحباى فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النبى ﷺ فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئًا، فرفع رأسه إلى السماء، فقلت الآن يدعو علىَّ فأهلكُ، فقال: «اللهم أطعم من أطعمنى، واسق من سقانى» قال: «فعمدتُ إلى الشملة فشددتها علىَّ، وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول لله ﷺ، فإذا هى حافلة، وإذا هُنَّ حفل كلهن - أى ضرعهن ممتلئ باللبن - فعمدت إلى إناءٍ لآل محمد ﷺ ما كانوا يطعمون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى علته رغوة. فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فقال: «أشربتم شرابكم الليلة؟» قال: قلت يا رسول اشرب، فشرب ثم ناولنى، فقلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولنى، فلما عرفت أنه ﷺ قد روى وأصبت دعوته ضحكت حتى أُلقيت إلى الأرض قال: فقال النبى ﷺ: «إحدى سوآتك يا مقداد» - أى أنك فعلت سوأة من الفعلات فما هى؟

قال: فقلت: يا رسول الله! كان من أمرى كذا وكذا وفعلت كذا، فقال النبى ﷺ: «ما هذه إلا رحمة من الله أفلا كنت آذنتنى، فتوقظ صاحبينا فيصيبان منها» قال: فقلت: والذى بعثك بالحق ما أبالى إذا أصبتها وأصبتها معك، من أصابها من الناس»[1].

(١) رواه مسلم (٢٠٥٥) .

المواساة عند الصحابة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كُنا نسمى جعفرًا أبا المساكين، كان يذهب إلى بيته فإذا لم يجد لنا شيئًا، أخرج لنا عُكةً أثرها عسل، فنشقها ونلعقُها».

عن شعبة قال: لما تولى الزبير لقى حكيم بن حِزَام عبدَ الله بن الزبير فقال: كم ترك أخى من الدَّين؟ قال: ألف ألف، قال: علىّ خمسمائة ألف».

قال ابن عيينه كان سعيد بن العاص إذا قصده سائل وليس عنده شىء قال: اكتب علىَّ سجلاً بمسألتك إلى الميسرة.

قال الأعرج: لقد رأيتنا فى مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهًا أدنى خصلة فينا هى التَواسِى بما فى أيدينا، وما رأيت فى مجلسه ممارين ولا متنازعين فى حديث لا ينفعنا.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «على قدر الإيمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوى قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه... ثم قال: دخلوا على بشر الحافى فى يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لى ما أواسيهم فأحببت أن أواسيهم فى بردهم».

وهذا النوع يسمى المشاركة وهو يرمى إلى جبر خاطر المحتاجين.

ومن أنواع المواساة جبرُ خاطر المسلم وإدخال السرور على قلبه:

فالمواساة لا تقتصر على مشاركة المسلم لأخيه فى المال والجاه أو الخدمة والنصيحة، فإن من المواساة مشاركة المسلم فى مشاعره خاصة فى أوقات حزنه وعند تعرضه لما يعكر صفوه، وقد كان ﷺ يواسى بالقليل والكثير.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان رجل يُدَاين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا، قال: فلقى الله تعالى فتجاوز عنه»[1] .

(١) رواه البخارى ومسلم.

وقد علَّمنا رسولُ الله ﷺ أن من أقال مسلمًا من عثرته أقال الله عثرته.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقال مسلمًا أقاله الله من عثرته»(١).

وعلمنا أيضًا أن الله - عز وجل - لا يزال فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الله فى حاجة العبد ما دام فى حاجة أخيه»(٢).

إذًا القاعدة العامة للمواساة هى أن يكون المسلم فى حاجة أخيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخالُ السرور على المسلم»(٣).

ثمرة هذا الخلق الفاضل: المواساة تورث حبَّ الله - عز وجل - ثم حُبَّ الخلق. وهى دليل الخير للآخرين وهى تشيع روح الأخوة بين المسلمين، وهى تساعد على قضاء حاجات المحتاجين وسد عوز المُعْوزين، وهى تدخل السرور على المسلم، وترفع من معنوياته فيُقْبل على الحياة مسرورًا ويلقى ربه مسرورًا إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(١) رواه أبو داود فى سننه (٢/٢٩٦).
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (٥/١١٨).
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١١/٧١).

حُسْن العِشْرة

المسلم الكامل الإيمان مُطالب بحسن العشرة، فهو مُحِب لمن يلاطفه مُستأنس بمن يُكلِّمُه يحبه كل من يلقاه أو يُقَابِلُهُ، فهو حسن العشرة مع نفسه أولاً، حسن العشرة مع امرأته، ومع صاحبه، ومع خادمه، ومع كل من يعامله فهو من الآلفين المألوفين.

حُسن العشرة هو ذلك الخلق الذى يُقَوِّى روابط المجتمع، وينمى الصلات الاجتماعية الحميدة.

أولاً: حُسن العشرة مع الزوجة:

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

وصى ﷺ بالنساء عامة وبالمرأة خاصة فقال ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه: «استوصُوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإنّ أعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج. فاستوصوا بالنساء»[1] .

ونهى ﷺ عن ضرب المرأة وإهانتها. فعن إياس بن عبد الله بن أبى ذُبَاب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لا تضربوا إماءَ الله» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذَئِرن النساءُ على أزواجهن. فرخص فى ضربهن. فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثيرٌ يشكون أزواجهن، فقال النبى ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساءٌ كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم»[2] .

ومن حسن عشرته ﷺ لزوجاته ملاعبته إياهم وملاطفته لهم:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبَنَات عند النبى ﷺ وكان لى صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيُسَرِّبهن إلىَّ فيلعبن معى»[3].

---

(١) رواه البخارى (١٣٣٣) .
(٢) رواه أبو داود (٦٥٢/١) وصححه الألبانى.
(٣) رواه البخارى (٦١٣٠) .

وعن عائشة ﵂ أنها كانت مع النبى ﷺ فى سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلى، فلما حملتُ اللحم سابقته، فسبقنى، فقال: «هذه بتلك السبقة»[١].

وعن عائشة ﵂ قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون. فقال لى: «يا حميراء - أى يا شديدة البياض - أتحبين أن تنظرى إليهم؟»، فقلت: نعم فقام بالباب، وجئته، فوضعت ذقنى على عاتقه، فأسندت وجهى إلى خده، قالت، ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طَيِّبًا، فقال ﷺ: «حسبك»، فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لى، ثم قال: «حسبك». فقلت: «لا تعجل يا رسول الله قالت: ومالى حُبُّ النظر إليهم، ولكنى أحببتُ أن يبلغ النساء مقامهُ لى ومكانى منه»[٢] .

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»[٣] .

ومن حسن عشرته ﷺ للزوجة؛ تكريمه للمرأة والدفاع عنها:

روى مسلم عن أنس ﵁ أن اليهود كانوا، إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن فى البيوت (أى لم يخالطوهن ولم يساكنوهن فى بيت واحد) فسأل أصحاب النبى ﷺ - فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[٤] . إلى آخر الآية.

فقال ﷺ: «اصنعوا كل شىء إلا النكاح». فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه. فجاء أُسيدُ بن حُضَيْر، وعَبَّاد بن بشر فقالا: يا رسول الله ﷺ ! إن اليهود تقول: كذا وكذا فلا يجامعهن؟ فتغير وجهه ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما - أى غضب عليهما - فخرجا فاستقبلهما هَدِيَّة من لبن إلى النبى ﷺ: فأرسل فى آثارهما. فسقاهما. فعرفا أن لم يجد عليهما»[٥] .

عن عائشة ﵂ قال: كنت أشرب وأنا حائض. ثم أناولهُ النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىّ، فيشرب، وأتَعَرَّقُ العَرَقَ - أى: آكل اللحم الذى على بقية العظم - وأنا حائض ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىَّ»[٦] .

(١) رواه أبو داود (٢/٣٤) .
(٢) رواه النسائى فى السنن الكبرى (٥/٣٠٧).
(٣) رواه الترمذى (٥/٧٠٩)، وابن حبان بسند صحيح.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢ .
(٥) رواه مسلم (٣٠٢).
(٦) رواه مسلم (٣٠٠).

وكذلك أيها القارئ من حسن العشرة أن يحسن الرجل إلى الزوجة حتى بعد موتها وذلك بأن يصل رحمها وقرابتها ويكرم أصحابها.

عن عائشة ﵂ قالت: ما غرتُ على أحد من أزواج النبى ﷺ ما غرت على خديجة، وما بى أن أكون أدركتها وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله لها وإن كان ليذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن»[1] .

حُسن عشرته ﷺ للخادم:

كان ﷺ من أحسن الناس معاشرة لمن يخدمه فكان ﷺ يطحن عن الخادم إذا أعيا، وكان ﷺ يعمل معه ويساعده ووصى ﷺ بالخدم.

عن عائشة ﵂ قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا...»[2].

ووصى ﷺ بالعفو عن الخادم أو العامل أو الأجير وعدم الغلظة معه.

فعن عبد الله بن عمر ﵁ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فصمت ﷺ، ثم قال: يا رسول الله! كم أعفو عن الخادم؟ فقال: «كُلَّ يوم سبعين مَرَّةً»[3] .

وأمر ﷺ بإطعامهم وكسوتهم.

فعن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة قال: كنا جلوسًا مع عبد الله بن عمرو إذ جاءه قهرمان له – أى الخازن أو الوكيل – فدخل فقال: أعطيت الرَّقيق قُوتَهُم؟ قال: لا، قال: فانطلق فأعطهم، قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عَمَّن يملك قُوتَهُ»[4] .

وعن أبى هريرة ﵁ قال: قال ﷺ: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله أكلةً أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين، فإنه ولىَ حَرَّهُ وعلاجه»[5].

(١) رواه الترمذى . (٢) رواه مسلم (٢٣٢٨) . (٣) رواه الترمذى.
(٤) رواه مسلم (٩٩٦) . (٥) رواه البخارى.

ولى حر الطعام: أى الذى تولى حرَّ النار فى طبخه وعلاجه.

عن سُوَيد بن مُقَرِّن رضي الله عنه قال معاوية ابنه: لطمتُ مولًى لنا، فهربت، ثم جئت قبيل الظهر، فصليت خلف أبى، فدعاه ودعانى، ثم قال: امتثل منه فعفا، ثم قال: كنا بنى مُقَرِّن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادم واحدة، فلطمها أحدُنا، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «أعتقوها». قالوا: ليس لهم خادم غيرها. قال: فليستخدموها، فإذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها»[١] .

حُسن عشرته ﷺ مع صحابته والناس أجمعين:

كان ﷺ من هديه جمال عشرته ﷺ للصحابه وللناس حتى كان يظن كل من يلقاه أو يجلس معه أنه من أحب أصحابه إليه أو من أحب الناس إليه ﷺ.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! إنك تُداعبنا. قال: «إنى لا أقول إلا حقًّا».

عن أُسَيد بن حضير رضي الله عنه رجل من الأنصار قال: بينما هو يحدث القوم كان فيه مِزَاحٌ، بَينَا يُضحكُهُم، فطعنه النبى ﷺ فى خاصرته بعود كان في يده، فقال أصبرنى - أى مكنى من نفسك أقتص منك - فقال: «اصطبر» قال: إن عليك قميصًا وليس علىَّ قميص، فرفع النبى ﷺ عن قميصه، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه، قال: إنما أردت هذا يا رسول الله»[٢] .

ومن حُسن عشرته ﷺ سؤاله عن أحوال أصحابه ولطفه معهم:

روى البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرِّقَاع على جمل لى ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضى، وجعلتُ أتخلف حتى أدركنى رسول الله ﷺ فقال: «ما لك يا جابر؟» قلت: يا رسول الله أبطأنى جملى هذا، قال: «أنِخْهُ». فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال: «أعطنى هذه العصا من يدك»، ففعلت، فأخذها فنخسه بها

(١) رواه مسلم (١٦٥٨).　(٢) رواه أبو داود (٧٧٨/٢) وصححه الألبانى.

نخسات ثم قال: «اركب»، فركبت فخرج - والذى بعثه بالحق - يواهق ناقته مواهقة - أى يسابق ناقته - وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لى: «أتبيعنى جملك هذا يا جابر؟» قلت: يا رسول الله بل أهبه لك، قال: «لا، ولكن بعنيه» فقلت: فسمنى به. قال: «آخذه بدرهم!» قلت: لا إذا يغبننى رسول الله. قال: «فبدرهمين؟» قلت: لا فلم يزل يرفع لى رسول الله ﷺ فى ثمنه حتى بلغ الأوقية فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟ قال: «نعم» قلت: فهو لك، قال: «قد أخذته...» ثم قال ﷺ: «يا جابر هل تزوجت بعد؟» قلت: نعم يا رسول الله، فقال: «أثيبًا أم بكرًا؟» قلت: لا بل ثيبًا. قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟» قلت: يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أُحد وترك له بنات سبعًا، فنكحت امرأة جامعة. تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن. قال: «أصبت إن شاء الله، أما إنا لو قد جئنا صرارًا - مكان قريب من المدينة - أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها،» فقلت والله يا رسول الله، ما لنا من نمارق، قال: «إنها ستكون، فإذا قدمت فأعمل عملاً كيسًا» قال جابر: فلما جئنا صرارًا، أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحر، وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمس رسول الله ﷺ دخل ودخلنا المدينة. قال جابر: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست فى المسجد قريبًا منه، فخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: «ما هذا؟» قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر، قال: «فأين جابر؟» فدُعيت له فقال: «يا بن أخى، خذ برأس جملك فهو لك». ودعا بلالاً فقال له: «اذهب بجابر فأعطه أوقية». فذهبت معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئًا يسيرًا، فو الله مازال ينمو عندى ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب الناس - يعنى يوم الحرة - ».

هذه القصة تبين لنا ما انطوى عليه خلقه الكريم ﷺ من لطف فى المعاشرة ورقة فى الحديث وفكاهة فى المحاورة ومحبة شديدة لأصحابه، وها نحن نستشف من سيرته العطرة هذه الأخلاق الرائعة فيهزنا الشوق إليه نسأل الله العظيم أن يرزقنا لقاءه فى جنان خلده.

من ثمار حسن العشرة:

١- عمل يرضى الله - عز وجل - ويبارك فيه.

٢- يشيع الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة.

٣- يقوى روابط المجتمع وينمى الصلات الاجتماعية الحميدة.

٤- يُخلصُ المستخدمون والعمال وأرباب الحرف لرؤسائهم وأولياء أمورهم إن أحسنوا عشرتهم.

٥- يحرص هؤلاء على مصلحة من هم لهم تابعون.

٦- يعطى القدوة والمثل لمن هو دونه فى حسن العشرة.

٧- يزيل الأحقاد والعداوة والحسد من القلوب.



القناعة

القناعة: قال الراغب: هى الاجتزاء باليسير من الأغراض المُحتاج إليها.

وقال الجاحظ: هى الاقتصار على سَنَح العيش، والرضا بما تَسَهَّلَ من المعاش.

والرجل القانع هو الرَّاضى بما قسم الله له.

عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع»[(1)] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن جوارَ من جاوَرَك تكن مسلمًا، وأقلَّ الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»[(2)] .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقَنَّعَهُ الله بما آتاه»[(3)] .

المثال التطبيقى من حياة الرسول ﷺ فى القناعة:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: ابن أختى، إنْ كُنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله ﷺ نار: فقلت: ما كان يُعيشُكُم؟ قالت الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار لهم منائح – أى منائح لبن كالناقة – وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقينا».

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا»[(4)]. ويقصد بالقوت ما يقوت البدن، ويكف عن الحاجة وهذا دليل الزهد فى الدنيا.

---

(1) رواه الترمذى (٤/٥٧٦) .
(2) رواه ابن ماجه (٢/١٤١٠) .
(3) رواه مسلم (١٠٥٤) .
(4) رواه البخارى (٦٤٦٠) .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه، واخلف على كل غائبة لى بخير»[1] .

فراش النبى ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فراش النبى ﷺ من أَدَمٍ وحَشْوُهُ لِيفٌ»[2] .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان لى مثلُ أُحُدٍ ذَهبًا ما يَسُرُّنِى أن لا يَمُرّ عَلَىَّ ثلاث وعندى منه شىءٌ، إلا شىء أرصده لِدين».

لقد مات النبى ﷺ وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين كما هو مروى عن السيدة عائشة زوج النبى ﷺ .

كان أبو ذر يومًا جالسًا فى الناس فأتته امرأته فقالت له: أتجلس بين هؤلاء؟ والله ما فى البيت هفَّة ولا سفَّة، فقال: يا هذه، إن بين أيدينا عقبة كؤودًا، لا ينجو منها إلا مخفٌّ فرجعت، وهى راضية.

وروى أن الله عز وجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة:

«يا بن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت، وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك».

قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[3] .

وروى أن سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو رافع مولى رسول الله ﷺ قال: نزل ضيف برسول الله ﷺ فأرسلنى ﷺ إلى رجل من اليهود، وقال ﷺ: قل له يقول لك محمد نزل بنا ضيف ولم يُلْفَ عندنا بعض الذى يصلحه، فبعنى كذا وكذا من الدقيق أو أسلفنى إلى هلال رجب، فقال اليهودى: لا، إلا برهن، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «والله إنى لأمين فى السماء أمين فى

(1) أخرجه الحاكم فى المستدرك (١/٦٢٦) .
(2) رواه الترمذى (٤/٢٣٧) .
(3) سورة طه، الآية: ١٣١ .

الأرض ولو أسلفنى أو باعنى لأدّيت إليه اذهب بدرعى إليه». فنزلت الآية الكريمة تعزية للنبى ﷺ عن الدنيا.

وقد روى أنه ﷺ مر بإبل بنى المصطلق وقد عَبِست فى أبوالها وأبعارها من السمن - أى جف أبوالها وأبعارها على أفخاذها وذلك من كثرة اللحم والشحم - فتقنع بثوبه ثم مضى لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ....﴾ وكان شعار النبى ﷺ فى نظرته لهذه الدنيا ومتاعها قوله ﷺ: «من أصبح منكم معافًى فى جسده، آمنًا فى سربه، عنده قوت يومه؛فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

وروى عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى مَن أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم. فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»[1] .

وقال ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».

قال عمران بن حصين: كانت لى من رسول الله ﷺ منزلة وجاه، فقال «يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاه، فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟» قلت: نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة، فقرع الباب وقال: «السلام عليكم، أأدخل؟» قالت: وعليكم ادخل يا رسول الله. قال: «أنا ومَنْ معى؟» قالت: ومن معك يا رسول الله؟ قال: «عمران» فقالت فاطمة: والذى بعثك بالحق نبيًا ما على إلا عباءة. قال: «اصنعى بها هكذا وهكذا» وأشار بيده فقالت: «هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خَلِقَة فقال: «شدى على رأسك». ثم أذنت له فدخل. فقال: «السلام عليكم يا ابنتاه، كيف أصبحتِ؟» قالت: أصبحتُ والله وجعة وزادنى وجعًا ما بى أنى لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بى الجوع. فبكى رسول الله ﷺ. وقال: «لا تجزعى يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعامًا منذ ثلاث، وإنى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا»، ثم ضرب على منكبها وقال لها: «أبشرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة». قالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت

(١) رواه البخارى ومسلم.

عمران؟ قال: «آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك إنكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب» ثم قال لها: «اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدًا فى الدنيا سيدًا فى الآخرة»[1] .

عن أبى عمرو الشيبانى قال: «سأل موسى عليه السلام ربَّهُ عز وجل: أى ربى أىُّ عبادك أحب إليك؟ قال: أكثرهم لى ذكرًا. قال: يا رب فأى عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته. قال: يا رب فأى عبادك أعدلُ؟ قال: من دان نفسه».

وكتب بعض بنى أمية إلى أبى حازم يعزمُ عليه إلا رفع إليه حوائجه. فكتب إليه: قد رفعتُ حوائجى إلى مولاى فما أعطانى منها قبلت، وما أمسك عنى قنعت».

قيل فى القناعة:

اضْرَعْ إِلَى اللهِ لا تَضْرَعْ إِلَىَ النَّاسِ   وَاقْنَعْ بيَأْسٍ فَإِنَّ العِزَّ فِـى اليَاسِ
وَاسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِى قُرْبَى وَذِى رَحِمٍ   إِنَّ الغَنِىَّ مَنِ اسْتَغْنَى عَـنِ النَّاسِ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «اشتكى سلمان، فعاده سعد، فرآه يبكى، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخى؟ أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أليس ... أليس؟ قال سلمان: ما أبكى واحدة من اثنتين، ما أبكى حنينًا للدنيا، ولا كراهية للآخرة. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلىَّ عهدًا، فما أرانى إلا قد تعديت. قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إلىّ أنه يكفى أحَدَكُمْ مثل زاد الراكب، ولا أرانى إلا قد تعديت، وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعند هَمّك إذا هممت، قال ثابت: فبلغنى أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهمًا من نفقة كانت عنده».

عن أبى الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما طلعت شمس قط إلا وبجنبيها ملكان، إنهما يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: أيها الناسُ هلمُّوا إلى ربكم، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وما غربت شمس قط إلا وبجنبيها ملكان يناديان: اللهم عجِّل لمنفق خلفًا، وعجل لممسك تلفًا.

(١) جزء فضائل فاطمة، لابن شاهين تحقيق أبى إسحاق الحوينى (٢٤/١).

قال الإمام الغزالي - رحمه الله -: كان محمد بن واسع يَبُلُّ الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد.

وأخيراً: من فوائد القناعة:

١- القناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢- القانع تعزف نفسه عن حُطام الدنيا رغبة فيما عند الله.

٣- القنوع يحبه الله ويحبه الناس.

٤- القنوع سعيد النفس قرير العين مطمئن راضٍ بما قُسم له من الدنيا.

٥- لو قنع الناس بالقليل لما بقي بينهم فقير ولا محروم.

٦- القناعة تشيع الألفة والمحبة بين الناس.

❀ ❀ ❀





الفصل الخامس

فـــى أعمال القلوب



الفصل الخامس

فـــــى أعمال القلوب

قال ﷺ: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»[1] .

والقلب بالنسبة للجسد والأعضاء كالملك الذى يدير شئون الرعية فعنه تصدر الأوامر وهم يستجيبون، فكلها تحت عبوديته وقهره قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: وقد قسَّم الصحابة رضى الله تعالى عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان: «القلوب أربعة: قلب مصفَّح فذلك قلب المنافق، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب أجرد فكأن فيه سراجًا يزهر فذاك قلب المؤمن وقلب فيه نفاق وإيمان فمثله كمثل قرحة يمدها قيح ودم ومثله مثل شجرة يسقيها ماء خبيث وماء طيب فأى غلب عليها غلب»[2] .

شرح الأثر: قوله «قلب أجرد» أى متجرِّد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق.

وقوله: «فكأن فيه سراجًا يزهر» وهو مصباح الإيمان: فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغى، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان.

وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل فى غلافه وغشائه فلا يصل إليه نور العلم والإيمان كما قال تعالى، حاكيًا عن اليهود: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[3] وهو جمع أغلف وهو الداخل فى غلافه... وهذه الغشاوة هى الأكنة التى ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله، فهى أكنةٌ على القلوب وَوَقْرٌ فى الأسماع، وعمى فى الأبصار، وهى الحجاب المستور

(١) رواه البخارى (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير .

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى الإيمان (٤٨١/٧) وعبد الله وأحمد فى المسند (١٧/٣) .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٨ .

عن العيون فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[1] فأصحاب هذه القلوب إذا ذُكر لهم تجريد التوحيد وتجريد المتابعة ولّوا على أدبارهم نفورًا.

وأشار بالقلب المنكوس - وهو المكبوب - إلى قلب المنافق كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾[2]؛ أى نكّسهم وردَّهم فى الباطل الذى كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقًا ويوالى أصحابه، والحق باطلاً ويعادى أهله، فالله المستعان.

وأشار بالقلب الذى له مادتان إلى القلب الذى لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذى بعث الله به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر والحكم للغالب عليه، وإليه يرجع[3] .

ما القلب الذى يُرضى خالقه، وينجو يوم القيامة؟

القلب الذى يرضى خالقه - سبحانه وتعالى - وينجو يوم القيامة هو القلب الذى تجرد مما سوى الله ورسوله أو هو القلب السليم وهذا القلب هو الذى أثنى عليه رب العزة فى كتابه بوصفه سليم قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[4] . والقلب السليم؛ أى سالم من الدنس والشرك، قال ابن سيرين: القلب السليم أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن فى القبور، وقال ابن عباس: القلب السليم أن يشهد أن لا إله إلا الله. وقال أبو عثمان النيسابورى: هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان : ٤٥ - ٤٦ . (٢) سورة النساء، الآية: ٨٨ .
(٣) نقلاً عن إغاثة اللهفان للإمام ابن القيم (١٣/١) . (٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ - ٨٩ .
(٥) تفسير ابن كثير (٤٥١/٣) .

ولهذا القلب علامات كثيرة: كثرة ذكر الله، وكثرة الشوق إليه والأنس به - عز وجل - دون سواه، وأن يجعل الله همَّه، ومن علامات صحة القلب أن يهتم بالعمل لله وحده بل وتصحيح هذا العمل وتحسينه على الوجه الذى يُرضى الله عز وجل وفى الصفحات الآتية بعض أعمال القلوب التى ينبغى لباغى الحق أن يلتمسها.



الإخلاص

الإخلاص: هو صلاح القصد وتجريده من الشوائب للتقرُّب إلى الله عز وجل.

وكلمة الإخلاص تشير إلى النَّقاء والصَّفاء والخلو من الشوائب كالنفاق والرياء والعُجْب والحسد والغل؛ لأن الشيء الخالص هو الخالي من كل دنس.

ويوصف الإنسان بالإخلاص متى كانت أقواله وأفعاله لا يقصد بها إلا وجه الله تعالى، وخدمة دينه وأمته، وإعلاء كلمة الحق والفضائل.

الإخلاص عمل القلب:

والإخلاص من أعمال القلوب، ومعلوم أن القلب عمله خفي غير ظاهر، فظاهر العمل يكون واحدًا ولكن قصده ومراده في القلب يختلف، قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾(١) .

القرآن الكريم والدعوة إلى الإخلاص:

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾(٣)، وقال عز من قائل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٤) .

الإخلاص شرط لقبول العمل(*) :

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلاً

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢ .
(٢) سوورة البينة، الآية: ٥ .
(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٢ - ٣ .
(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠ .
(*) ملاحظة مهمة: لقبول العمل شرطان: ١- الإخلاص، ٢- الموافقة للكتاب والسنة.

غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال ﷺ: «لا شيء له فأعادها ثلاث مرارًا» ويقول ﷺ: «لا شيء له»، ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغى به وجهه»[1] .

وجاء في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[2] .

وفي الآخرة يأتي الله سبحانه وتعالى بعبده فيحاسبه على أعماله ويبين له أي العمل يقبل ويُؤجر عليه، وأي العمل لا يقبل ولماذا؟

روى الإمام مسلم أن رسول ﷺ قال: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها وقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته. قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار».

وصدق الله العلي العظيم عندما ذكر لنا جزاء أعمال الكافرين فقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[3] .

قال ابن كثير: وهذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها وإما

(١) رواه النسائي بإسناد حسن.
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣ .

المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل، فأعمال الكافرين لا تخلوا من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا فتكون أبعد من القبول حينئذٍ.

وأخيراً كلمات من ذهب فى الإخلاص:

قال الجنيد: «الإخلاص سرٌّ بين العبد وربه، لا يعلمه مَلك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله».

قال الفضيل: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما».

قال يحيى بن معاذ: «الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم».

قال سهل بن عبد الله: «الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خالصة».

❁ ❁ ❁

التوكل

التوكُّل عمل من أعمال القلوب كما قال عنه الإمام أحمد - رحمه الله -: التوكُّل عمل القلب.

قال الغزالي - رحمه الله -: التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده[1]. وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضيَ بالله وكيلاً. وقيل التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة.

بيان فضيلة التوكل:

أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3] وقال تعالى حكاية عن المتوكلين عليه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[4].

وقال تعالى آمرًا بهذا العمل القلبي الذي يصل بصاحبه إلى مرضاة ربه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[6].

ثانيًا: من الأحاديث النبوية:

عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[7]. ومعناه تذهب أول النهار خماصًا: أي ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بطانًا: أي ممتلئة البطون.

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢٥٩).
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٥) سورة النمل، الآية: ٧٩.
(٦) سورة النساء، الآية: ٨١.
(٧) صحيح، أخرجه أحمد (١/٣٠) (٢٠٥) من حديث عمر بن الخطاب، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٢٥٤).

ومن أفضل جزاء المتوكلين ما روى عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرضت عليَّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرُّهَيْط، والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام ولم يُشركوا بالله شيئًا – وذكروا أشياء – فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذى تخوضون فيه؟» فأخبروه فقال: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادعُ الله أن يجعلنى منهم: فقال: «سبقك بها عكاشة»[1] .

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت، والجن والإنس يموتون»[2] .

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»[3] قال النووى – رحمه الله –: أى متوكلون كالطير. وقيل قلوبهم رقيقة.

وعن أم المؤمنين أم سلمة ﷺ – واسمها هند بنت أبى أمية حذيفة المخزومية – أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «بسم الله، توكلت على الله اللهم إنى أعوذ بك أن أَضِل أو أُضَل، أو أَزِل أو أُزَل، أو أَظلِم أو أُظلَم، أو أَجهل أو يُجْهَل علىَّ»[4] .

النبى ﷺ أول من حقق التوكل على الله فى أمته:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه غزا مع النبى ﷺ قِبَل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة فى وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس

---

(١) رواه البخارى فى الطب، ومسلم برقم (٢٢٠) واللفظ له. (٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم (٢٨٤٠) . (٤) رواه أبو داود (٢/٧٤٦) (٥٠٩٤) عن أم سلمة وصححه الألبانى.

يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلَّق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابى فقال: «إن هذا اخترط علىَّ سيفى وأنا نائم، فاستيقظت وهو فى يده صلتًا، فقال: من يمنعك منى؟ قلت: «الله ثلاثًا» ولم يعاقبه وجلس(١) .

وفى رواية: قال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ مُعلَّق بالشجرة، فاخترطه فقال: تخافنى؟ قال: «لا» قال: فَمَنْ يمنعك منى؟ قال : «الله» وفى رواية فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال: «مَنْ يمنعك منى؟» فقال: كن خير آخذ، فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله» قال: لا، ولكن أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلَّى سبيله، فأتى أصحابه. فقال: جئتكم من عند خير الناس.

ونرى النبى ﷺ أيضًا قد حقق التوكل فى الهجرة:

فعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «ماظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»(٢) .

ثالثًا: من الآثار:

قرأ الخواص قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ فقال: ما ينبغى للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى. وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمونُ لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل، فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك. وقال بعض الصالحين: متى رضيت بالله وكيلاً وجدت إلى كل خير سبيلاً.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

أقوال العلماء فى التوكل:

أولاً: أبو حامد الغزالى - رحمه الله -: ... التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالى درجات المقربين، وهو فى نفسه غامض من حيث العلم، ثم هو شاق من حيث العمل، ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك فى التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن فى السنة وقدح فى الشرع، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابًا تغيير فى وجه العقل، وانغماس فى غمرة الجهل، وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع فى غاية الغموض والعسر، ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا[١] .

ثانيًا: قول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «التوكل» نصف الدين والنصف الثانى «الإنابة»، فإن الدين استعانة وعبادة؛ فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هى العبادة.

ومنزلته: أوسع المنازل وأجمعها. ولا تزال معمورة بالنازلين، لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين..... إلى أن قال - رحمه الله -: أفضل التوكل: التوكل فى الواجب - أعنى واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس - وأوسعه وأنفعه: التوكل فى التأثير فى الخارج فى مصلحة دينية، أو فى دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء فى إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين فى الأرض، وهذا توكل ورثتهم[٢] .

قصة فى حسن التوكل والاعتماد على الله:

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر أن رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتنى بشهداء أشهدهم

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢٤٣) . (٢) مدارج السلكين (٢/١١٤) .

قال: كفى بالله شهيدًا قال: ائتنى بكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبًا يقدم عليه؛ للأجل الذى أجله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زجج[1] موضعها ثم أتى بها البحر ثم قال: اللهم إنك قد علمت أنى استلفت من فلان ألف دينار فسألنى كفيلاً قلت: كفى بالله كفيلاً فرضى بذلك وسألنى شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا فرضى بذلك، وإنى قد جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه بالذى أعطانى فلم أجد مركبًا وإنى استودعتكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف ينظر وهو فى ذلك يطلب مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبًا يجىء بماله فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبًا فلما كسرها وجد المال والصحيفة. ثم قدم الرجل الذى كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال: والله مازلت جاهدًا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذى جئت فيه، قال: فإن الله أدَّى عنك الذى بعثت به فى الخشبة فانصرف بألفك راشدًا»[2] .

وأخيرًا ثمرة التوكل: ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - فى الفوائد تحت عنوان - توكل على الله حق توكله - قائلاً: «من ترك الاختيار والتدبير فى رجاء زيادة أو خوف نقصان أو صحة أو فرار من سقم، وعلم أن الله على كل شىء قدير، وأنه المنفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد لنفسه وأرحم به منه بنفسه، وأبر به منه بنفسه وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدى تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة. فلا متقدم له بين يدى قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدى ملك عزيز قاهر له التصرف فى عبده بما شاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من

(١) زجج موضعها: ساواه للتخفية.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٨٥٧١)، وقد علقه البخارى فى غير موضع من صحيحه عن الليث بن سعد .

الوجوه، فاستراح حينئذٍ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات وحمل كل حوائجه ومصالحه من لا يبالى بحملها ولا يثقله ولا يكترث بها؛ فتولاها دونه وأراه لطفه وبرَّه ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه؛ لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه وجعله وحده همه. فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه، وفرَّغ قلبه منها فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه. ومن أبى إلا تدبيره لنفسه واختياره لها واهتمامه بحظه دون حق ربه، خلاه وما اختاره وولاَّه ما تولى فحضره الهم والغم والحزن والنكدَ والخوف والتعب، وكسف البال وسوء الحال فهو يكدح فى الدنيا كدح الوحش ولا يظفر منها بأمل ولا يتزود منها لمعاد»(١) .



(١) الفوائد، ص ١١٨ - ١١٩ .

النية

النية فى اللغة: مشتقة من الفعل (نوى)، وهى بمعنى العزم. وقال النووى: النية: القصد، وهى عزيمة القلب.

والنية التى نقصدها: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له، أم غيره، أم الله وغيره.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، قال الغزالى فى الإحياء والمراد بتلك الإرادة هى النية وَبَيَّن النبى ﷺ أن صلاح العمل إنما يكون بصلاح نيته، فعن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2] .

كما بين ﷺ أن الناس إنما يبعثون على نياتهم لما لها من أهمية كبرى فى توجيه القلب جهة الخير أو الشر.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم» قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟! قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم»[3] .

وكما أن النية الصالحة والخالصة لله بها يُقبل العمل فكذلك بالنية يكون الأجر حتى وإن لم يتم العمل.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبى ﷺ كان فى غزاة فقال: «إن أقوامًا بالمدينة خلفنا ما سلكنا شِعْبًا ولا واديًا إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر»[4] .

قال ابن حجر فى الفتح: والحديث فيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٩ .
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه البخارى (٢٨٣٩) من حديث أنس رضي الله عنه .

وفى رواية: عن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الأنصارى ﷺ قال: كنا مع النبى ﷺ فى غزاة فقال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم المرض»[١] .

وقد بيَّن النبى ﷺ مكانة النية ووضَّح معناها وأجرها أبلغ توضيح فى الحديث الذى روى عن أبى كبشة الأنمارى رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء»[٢] .

يقول عبد الله بن المبارك - رحمه الله -: «رُبَّ عمل صغير تُكثره النية، ورُبَّ عمل كثير تصغره النية»[٣] .

وقال الحسن البصرى رحمه الله: «إنما خلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار بالنيات»[٤] .

والنية الصادقة يحصل بها ثواب العمل وإن وقع خطأ ما دام غير مراد، فعن أبى يزيد معن بن يزيد بن الأخنس قال: كان أبى يزيد أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل فى المسجد، فجئت فأخذتها فأتيته بها، فقال: والله ما إياك أردت، فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فقال: «لك ما نويت يا يزيد ولك ما أخذت يا معن»[٥]. فما دام للنية هذا الفضل العظيم فيجب على المرء أن يصلح من نيته وأن يستحضرها فى جميع أموره، قال يحيى بن كثير: «تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل». وقال الثورى: «كانوا يتعلمون النية للعمل، كما تتعلمون العمل».

وقال بعض العلماء: «اطلب النية للعمل قبل العمل، وما دمت تنوى الخير فأنت بخير».

---

(١) رواه مسلم (١٩١١) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذى، وقال: حسن صحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء.

(٤) إحياء علوم الدين (٤/٣٦٤) .

(٥) رواه البخارى فى الزكاة.

التقوى

معنى التقوى: أن يجعل العبدُ بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه[1] .

وتقوى العبد لربه؛ أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه.

بعض عبارات الصالحين فى توضيح معنى التقوى:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المتقون الذين يحذرون من الله وعقوبته.

قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه فى قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[2] قال: أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

ولقد حث القرآن الكريم فى كثير من آياته على تقوى الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ .

وقد وردت أحاديث كثيرة لرسول الله ﷺ يوصى فيها بتقوى الله فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم....»[4] .

وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب فى حجة الوداع فقال: «اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدُّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم»[5] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الدنيا حُلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها. فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء. فإن

---

(١) الشيخ ابن عثيمين. (٢)، (٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

(٤) جزء من حديث للبخارى ومسلم.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٥٢/١) (١٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ولا نعرف له علة ولم يخرجاه، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥/٦) (٧٣٤٨).

أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء»[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول: «اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[2] .

نماذج عالية فى التقوى:

١- ذات يوم رأى عمر بن عبد العزيز رجلاً يشير بشماله فقال: يا هذا! إذا تكلمت فلا تشر بشمالك، أشر بيمينك. فقال الرجل: ما رأيت كاليوم! إن رجلاً دفن أعز الناس إليه - ابنه عبد الملك - ثم إنه يهمه يمينى من شمالى، فقال عمر: إذا استأثر الله بشىء فاله عنه - أى اتركه وأعرض عنه ولا تتعرض له - فقال له الرجل: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فقال له عمر بن عبد العزيز: بل جزى الله الإسلام عنى خيرًا .

٢- يروى أن الإمام أبا يوسف - تلميذ أبى حنيفة وقاضى القضاة فى زمن هارون الرشيد - كان قد تقاضى عنده الخليفة هارون الرشيد ونصرانى فى خصومة وقعت بينهما . فقضى أبو يوسف للنصرانى على الخليفة. ولما أدركته الوفاة قال: اللهم إنك تعلم أنى وليت هذا الأمر، فلم أَمِلْ إلى أحد الخصمين حتى فى القلب، إلا فى خصومة نصرانى مع الرشيد لم أسوِّ بينهما - يقصد فى ميل القلب - وقضيت للنصرانى على الرشيد ثم بكى.

توضيح: فالقاضى أبو يوسف - رحمه الله - رأى أن مجرد ميل القلب إلى جانب الأمير لا إلى جانب النصرانى زلة يخشى عقوبتها من الله ورآه ذنبًا فبكى عليه مع أنه لم يقضِ إلا بالحق للنصرانى. وهذه هى التقوى التى نرجوها تمثلت فى هؤلاء الرجال. قال الشاعر:

هم رجالٌ وعيبٌ أن يقال لمن ... لم يتصف بمعانى وصفهم رجلاً

ثمار التقوى:

وللتقوى ثمار كثيرة دلَّ عليها القرآنُ العظيم يجنيها المسلم فى دنياه وآخرته منها:

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢) . (٢) رواه مسلم (٢٧٢١) من حديث عبد الله رضي الله عنه.

١- التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[١] . وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[٢] .

٢- التقوى سبب لتفتيح البركات من السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[٣] .

٣- التقوى سبب لوقاية الإنسان من الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٤] .

٤- التقوى سبب للخروج من المآزق وحصول الرزق والسعة للمتقى من حيث لا يحتسب قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٥] .

٥- التقوى سبب لصلاح الأعمال وقبولها ومغفرة الذنوب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٦] .

٦- التقوى سبب لنيل العلم وتحصيله قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[٧] .

٧- التقوى سبب لنيل رحمة الله، وهذه الرحمة تكون فى الدنيا كما تكون فى الآخرة قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٨] .

٨- التقوى سبب للفوز والفلاح قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٩] .

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٤ .
(٢) سورة الليل، الآيات: ٥ - ٧ .
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦ .
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١
(٥) سورة الطلاق، الآيتان، ٢ - ٣ .
(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١ .
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢ .
(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦ .
(٩) سورة النور، الآية: ٥٢ .

٩- التقوى سبب لميراث الجنة قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾(١) .

١٠- التقوى سبب دخول الجنة قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) .

١١- التقوى سبب لنعيم الجنة كالسير تحت الأشجار والتنعم بالظلال قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣) .

نسأل الله – العلى العظيم – أن يجعلنا من عباده المتقين.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣ .

(٣) سورة المرسلات، الآيات: ٤١ – ٤٣ .

المراقبة

حقيقة المراقبة: هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه[1] .

والمراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وهى العلم بأن الله مُطَّلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت.

قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3] ، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[4] .

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[5] .

وفى الحديث أن الأمين جبريل عليه السلام سأل النبى ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك..»[6] .

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

أحوال الصالحين مع المراقبة:

قال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى، فسأله عن تفسيره، فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله عز وجل.

وقال ابن عطاء: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وقال أبو عثمان: قال لى أبو حفص: إذا جلست للناس فكن واعظًا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك! فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك[7] .

وقال الجريرى: من لم يُحَكِّم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

وقال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عَظَّم الله، وتصغير ما صغَّر الله .

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٣٩٨) .
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٨ - ٢١٩ .
(٣) سورة الحديد، الآية: ٤ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥ .
(٥) سورة غافر، الآية: ١٩ .
(٦) رواه الإمام مسلم (١٠) .
(٧) إحياء علوم الدين (٤/٣٩٧) .

مراقبة الله سبحانه وتعالى هى الأنس به وحده وسعادة القلب وسروره:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: مراقبة الله - عز وجل - تجلب العمل لمرضاته والأنس به سبحانه وتعالى.

ومن هنا يشعر العبد بالسعادة والسرور، فإن سرور القلب بالله وفرحه به وقرة العين به لا يشبهه شىء من نعيم الدنيا ألبته، وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال أهل الجنة. حتى قال بعض العارفين: إنه لتمر بى أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة فى مثل هذا، إنهم لفى عيش طيب.

ولا ريب أن هذا السرور يبعثه على دوام السير إلى الله عز وجل، وبذل الجهد فى طلبه، وابتغاء مرضاته، ومن لم يجد هذا السرور، ولا شيئًا منه، فليتهم إيمانه وأعماله، فإن للإيمان حلاوة، من لم يذقها فليرجع وليقتبس نورًا يجد به حلاوة الإيمان، وقد ذكر النبى ﷺ ذوق طعم الإيمان ووَجد حلاوته، فذكر الذوق والوجد، وعلقه بالإيمان فقال: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»، وقال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود فى الكفر، بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار»(1) .

فيجب على المؤمن أن يملأ قلبه بمراقبة الله له فى جميع أحواله بمعنى أن يستيقن أن الله مُطَّلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال عباده عالم ما تخفيه صدورهم.

ولذلك علمنا ﷺ، كيف نراقبه سبحانه فى الخفاء والعلن فقال ﷺ: «ما كره الله منك شيئًا فلا تفعله إذا خلوت»(2)، وقال ﷺ: «من استطاع منكم أن يكون له خِبء من عمل صالح فليفعل»(3) .

وقد قيل:

إذا ما خلوتَ الدَّهر يومًا فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل علىّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تُخْفيه عنه يَغيب

ألم ترَ أن اليوم أسرع ذاهب ... وأن غدًا للناظرين قريب

---

(1) مدارج السالكين (٦٧/٢) . (2) رواه ابن حبان (١٢٩/٢) (٤٠٣) إسناده ضعيف.

(3) رواه الضياء عن الزبير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٦٠١٨) .

درجات المراقبة:

قال الغزالي – رحمه الله –: والموقنون بالله هم المقربون، وهم ينقسمون إلى الصديقين، وإلى أصحاب اليمين، فمراقبتهم على درجتين:

الدرجة الأولى:

مراقبة المقربين من الصديقين، وهي مراقبة التعظيم والإجلال، وهو أن يصير القلب مستغرقًا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرًا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلاً..... ثم قال – رحمه الله –: ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه.

وحكى أن بعضهم قال: مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدًا منهم، فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال: ذكر الله تعالى أشهى، فقلت: وحدك؟ فقال: معي ربي وملكاي، فقلت: مَن سبق من هؤلاء؟ فقال: من غفر الله له، فقلت: أين الطريق؟ فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال: أكثر خلقك شاغل عنك.

الدرجة الثانية:

مراقبة الورعين من أصحاب اليمين، وهم قوم غلب يقين اطّلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم، ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال، بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال، إنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة، نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يُحْجِمُون إلا بعد التثبت فيه، ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة، فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعًا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة.

قال محمد بن عليّ: إن المؤمن وَقّاف متأنٍّ يقف عند همه ليس كحاطب ليل»[1] .

فعلى المسلم الذي يلتمس لنفسه طرق الخير أن يلزم مراقبة الله؛ فبها صلاح القلب وبها رضا الرب جل وعلا.

---

(١) إحياء علوم الدين بإيجاز (٤/٤٠٠) .

الرضـــا

العبد المؤمن يمتلئ قلبه رضًا، رضًا بالله سبحانه وتعالى إلهًا وربًا ورضًا عن الله سبحانه وتعالى بما قدَّره ورضًا بنبيه محمد ﷺ، ورضًا بدينه وتسليمًا لأحكامه ومن اجتمع فى قلبه هذه الأمور فقد وصل إلى أعلى مقامات المقربين.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ والعبد يرضى عن الله تعالى فيكون منتهى الإحسان رضا الله عن عبده قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده، فإن الله تبارك وتعالى يُنزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه»[1] .

وروى الغزالى فى الإحياء: «جاء فى أخبار موسى عليه السلام، إن بنى إسرائيل قالوا له: «سل لنا ربك أمرًا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا. فقال موسى عليه السلام: إلهى، قد سمعت ما قالوا، فقال: يا موسى! قل لهم: يرضون عنى حتى أرضى عنهم»[2] .

والرضا ينافى الجزع وهو التَّسَخُّط وعدم قبول قدر الله وقضائه، فالرضا هو التسليم بكل ما قدره الله للعبد وقضاه بل وسعادة القلب بهذا المقدور؛ لأن الله لا يُقَدِّر لعبده المؤمن إلا خيرًا.

قال عمر بن عبد العزيز: ما بقى لى من سرور إلا فى مواقع القدور، وقيل له: ما تشتهى؟ فقال: ما يقضى الله .

وقال ميمون بن مهران: من لم يرضَ بالقضاء فليس لحمقه دواء.

وعن بعض السلف: إن الله تعالى إذا قضى فى السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه.

وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أول من يُدّعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال.

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه (٦٧١/١) (١٨٢٠) . (٢) الإحياء، (٤٥٩/٤) .

والرضا بالله سبحانه وبمقدوره ونبيه محمد ﷺ والدين الذى أرسل به؛ يثمر عنه أن يتمتع العبد بحلاوة الإيمان.

قال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً»[1] .

قال القاضى عياض - رحمه الله -: معنى الحديث صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشة قلبه؛ لأن من رضى أمرًا سَهُلَ عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له والله أعلم»[2] .

وقال ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا غفر له ذنبه».

وهذا من أفضل ثواب الرضا أن يردد العبد كلمات الرضا من قلب راضٍ ولسان ذاكر فيُغْفر له[3] .

والعبد إذا رزق الرضا رزق الخير كله حيث تكون السعادة والسرور وراحة البال وهدوء النفس واطمئنان القلب.

قال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح فى اليقين والرضا وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط»[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٤) . (٢) شرح النووى على صحيح مسلم.

(٣) رواه مسلم برقم (٣٨٦) . (٤) أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب (١٦٨/٢) (١١١٦) .

اليقين

قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] .

قال القرطبى: اليقين دون الشك.

واليقين: هو العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر.

قال ابن القيم رحمه الله : اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد.

قال ابن تيمية - رحمه الله - : «الصبر نصف الإيمان واليقين هو الإيمان كله».

أولاً: المؤمن الموقن ينجو من الفتن:

عن أسماء قالت: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فدخلت على عائشة وهى تصلى. فقلت: ما شأن الناس يُصلُّون؟ فأشارت برأسها إلى السماء فقلت آيَةٌ؟ قالت: نعم، فأطال رسول الله ﷺ القيام جداً، حتى تجلانى الغَشْىُ فأخذت قربة من ماء جنبى. فجعلت أصب على رأسى أو على وجهى من الماء. قالت: فانصرف رسول الله ﷺ وقد تجلَّت الشمس، فخطب رسول الله ﷺ الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، ما من شىء لم أكن رأيته إلا قد رأيته فى مقامى هذا، حتى الجنة والنار، وإنه قد أوحى إلىَّ أنكم تُفتَنُونَ فى القبور قريبًا أو مثل فتنة المسيح الدجال (لا أدرى أى ذلك قالت أسماء) فيؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن. (لا أدرى أى ذلك قالت أسماء) فيقول هو محمد هو رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرار، فيقال له ثم. قد كنا نعلم أنك لتؤمن به فنم صالحًا، وأما المنافق أو المرتاب (لا أدرى أى ذلك قالت أسماء) فيقول: لا أدرى. سمعت الناس يقولون شيئًا فقلت)[2] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عنه: أن النبى ﷺ قال: «إن الميت يصير إلى القبر

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٤ - ٥ .   (٢) رواه الشيخان.

فيجلس الرجل الصالح في قبره، غير فزع، ولا مشعوف، ثم يقال له: فيمَ كنت؟ فيقول: كنت فى الإسلام، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغى لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قِبَل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا. فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قِبَل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك ويقال له: على اليقين كنت ، وعليه مُتّ وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء فى قبره فزعًا مشعوفاً فيقال له: فيمَ كنت؟ فيقول: لا أدرى فيقال له: ما هذا الرجل فيقول سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له قِبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صُرِف عنك، ثم يُفرج له فرجة قِبَل النار فينظر إليها يحطم بعضُها بعضًا، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله»(١) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اليقين الإيمان كله»(٢) .

وقال سفيان الثورى – رحمه الله –: لو أن اليقين استقر فى القلب كما ينبغى لطار فرحًا وحُزنًا وشوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار.

قال تعالى وهو يتحدث عن حال المؤمن والكافر حال الموت: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال قتادة فى هذه الآية: إن الله ليس بتارك أحدًا من الناس حتى يَقِفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين.

عتاب الله لأهل النار يوم القيامة بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين: قال عز من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾(٣) .

قال ابن كثير: أى إذا قال لكم المؤمنون ذلك قلتم: لا نعرفها – أى الساعة – وإن نتوهم وقوعها إلا توهمًا أى مرجوحًا لهذا. ثم قال رحمه الله:–

(١) رواه ابن ماجه، وإسناده صحيح (١٤٢٦/٢) (٤٢٦٨) .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبى ﷺ : «بنى الإسلام على خمس»

(٣) سورة الجاثية، الآية : ٢ .

وقد ثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب فيقول: أفظننت أنك ملاقىّ؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتنى».

فهل نحن موقنون حقًا؟ هل ترسخ الإيمان واليقين فى قلوبنا؟

إنَّ عامر بن عبد قيس يقول: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا».

وهذا الكلام لا يقوله إلا عبدٌ أنعم الله عليه بالإيمان الكامل واليقين الثابت الذى لا يختلط به أى شك أو ريب.

إن لليقين علامة وهى: «النظر إلى الله فى كل شىء، والرجوع إليه فى كل أمر، والاستعانة به فى كل حال».

منزلة اليقين عند الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

قال ابن القيم - رحمه الله - ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة اليقين وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفين، وفيه تنافس المتنافسين، وإليه شمَّر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين، وُلد بينهما حصول الإمامة فى الدين. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ثم قال - رحمه الله -: وخص سبحانه وتعالى أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين قال: هو أصدق القائلين: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح بين العاملين فقال سبحانه: ﴿..... وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

الفوز والفلاح لمن آمن وقال: لا إله إلا الله مستقينًا بها قلبه:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كُنا قعودًا حول رسول الله، معنا أبو بكر وعمر، فى نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا

وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغى رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطًا للأنصار لبنى النجار، فدرت به هل أجد له بابًا؟ فلم أجد فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجة، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: «أبو هريرة»؟ فقلت: نعم يا رسول الله، قال: «ما شأنك» قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقطع دوننا، ففزعنا، فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائى فقال: «يا أبا هريرة (وأعطانى نعليه)، قال: اذهب بنعلىَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة» فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثنى بهما، من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستقينًا بها قلبه، بشرته بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثديى فخررت لاستِىَ فقال: ارجع يا أبا هريرة؟ فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاءً وركبنى عمر فإذا هو على أثرى فقال لى رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا هريرة؟» قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بين ثديى ضربة خررت لاستى قال: «ارجع»، فقال له رسول الله: «يا عمر، ما حملك على ما فعلت؟» قال: يا رسول الله بأبى أنت وأمى أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقى يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «نعم» قال: فلا تفعل فإنى أخشى أن يتكل الناس عليها فَخَلِّهِمْ يعملون. قال رسول ﷺ: «فَخَلِّهِمْ»(١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ينادى فلما سكت قال رسول الله ﷺ: «من قال مثل ما قال هذا يقينًا دخل الجنة»(٢) .

قال أبو بكر الوَرَّاق: «اليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان وباليقين عُرِف الله وبالعقل عقل عن الله».

من فوائد اليقين:

١- اليقين يزيد المسلم من ربه قربًا وحبًا ورضًا.

٢- اليقين هو لب الدين ومقصوده الأعظم.

٣- يزيد العبد خضوعًا واستكانة لمولاه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان (٣١) .

(٢) أخرجه أحمد فى مسند (٨٦٠٩)، وابن حبان فى صحيحه (١٦٦٧).



الفصل السادس

فـــى أعمال اللســـان



الفصل السادس

فـــى أعمال اللســـان

إن اللسـان من نعم الله العظيمـة ولطائف صنعه الغريبـة فإنه صـغيـر حجمه، عظيم طاعته وجرمـه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفى. فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عن اللسان إما بحق أو باطل، ولا شىء إلا والعلم متناول له.

وهذه خاصية لا توجد فى سائر الأعضاء(1) .

واعلم أن النبى ﷺ قد حذرنا من خطر اللسان أو عدم الالتفات إليه أو تقويمه فقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(2) .

وعن معاذ بن جبل: قال: قلت: يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: «ثكلتك أمك يا بن جبل، وهل يكبُّ الناس فى النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»(3) .

وقال عقبة بن عامر: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابْكِ على خطيئتك»(4) .

ولهذا فقد روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام. وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد.

وقال عبد الله بن مسعود: والله الذى لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شىء أحوج إلى طول سجن من لسان(5) .

وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه(6) .

---

(1) إحياء علوم الدين (٣/١٠٨) .

(2) رواه البخارى، ومسلم.

(3) رواه الترمذى وقال: حسن صحيح.

(4) رواه الترمذى (٤/٦٠٥) (٢٤٠٦) وقال: حسن صحيح.

(5) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٩/١٤٩) (٨٧٤٤).

(6) إحياء علوم الدين (٣/١١١) .

وكتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أما بعد: فإن مَنْ أكثر ذكر الموت رَضِيَ من الدنيا باليسير، ومن عدّ كلامه من عمله قَلَّ كلامه إلا فيما يعنيه.

والله عز وجل - أرشدنا إلى الحفاظ والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

سبب كل هذا التحذير من اللسان:

لأن من يطلق العنان للسانه وأهمله وتركه مرخى سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار، ووقع المسكين فى آفاته وانتظر فى الآخرة ويلاته.

وآفاته كثيرة نشير إليها للتحذير منها - وإن كان هذا ليس مكانها - الكلام فيما لا يعنى، الكذب - الغيبة - النميمة - المدح إطراءً - قول الزور - .... إلخ

كيف يستغل اللسان فى رضا الله بعمل الخير:

واللسان هذا العضو الذى لا يملُّ ولا يتعب - كما قال الأطباء - من كثرة العمل إذا قُيد بلجام الشرع فلا يطلق إلا فيما ينفع فى الدنيا والآخرة من قول الخير والكلم الطيب، أو يُكفُّ عن كل ما يخشى غائلته فى العاجل أو الآجل فقد أصبح عضوًا نافعًا ننال به رضا خالقنا. وقد حدد النبى ﷺ ذلك فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[1] .

فالكلام إما أن يكون خيرًا فيكون مأمورًا به وأفضل خير للسان كثرة الذكر، وقراءة القرآن والاستغفار، والكلم الطيب، وقول الحق وشهادته وغير ذلك من طرق الخير المتعددة والكثيرة، وإمّا أن يكون الكلام غير ذلك فيكون الأمر بالصمت. وفى الصفحات الآتية سوف نتناول بعض أعمال اللسان التى نصل من خلالها إلى أفضل خيرٍ يعود على المسلم وهو رضا الله عز وجل.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

الذكر

ينبغى للعبد الذى يلتمس طرق الخير ويبحث عنها ألا يغفل عن هذا الطريق لا سيما وهو بسيط عمله عظيم أجره .

والذكر: هو ما يجرى على اللسان والقلب، من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال.

والله – عز وجل – قد أمر عباده بالذكر والإكثار منه والمداومة عليه فى جميع الأحوال فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾(١) ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾(٢) .

وقال سبحانه وهو يصف ويثنى على أولى الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٣) .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل الذكر والحث عليه وبيان منزلته.

قال النبى ﷺ: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرَّب إلىَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إلىَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة(٤) .

وقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظلِّه يوم لا ظل إلا ظله – من جملتهم – رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(٥) .

وقال ﷺ : «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله – عَزَّ وجل –» قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد فى

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣ . (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤١ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤١ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب التوحيد، ومسلم برقم (٢٦٧٥) واللفظ للبخارى.

(٥) رواه البخارى فى الرقاق ومسلم (١٠٣١) واللفظ له.

سبيل الله، إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع،، ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع»[1] .

وقال ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[2] .

وقال ﷺ : «من قال فى يوم وليلة سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطَّت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[3] .

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ليس يتحسر أهل الجنة على شىء إلا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها.

أفضل الذكر ما تواطأ فيه اللسان والقلب:

وإن كنا نقول أن الذكر من أعمال اللسان فليس معنى ذلك أنه ليس من أعمال القلوب. بل إن الذكر عمل بالقلب واللسان، فمن الذاكرين من يذكر باللسان ومنهم من يذكر بالقلب وأفضله إذا اجتمعا - أى القلب واللسان - على ذكر الله عز وجل .

يقول الإمام ابن القيم: من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فتواطأ على الذكر، ومنهم من لا يرى ذلك ولا يبتدئ على غفلة بل يسكن حتى يحضر قلبه فيشرع فى الذكر بقلبه، فإذا قوى استتبع لسانه فتواطأ جميعًا.

فالأول: ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه، والثانى: ينتقل من قلبه إلى لسانه من غير أن يخلو قلبه منه، بل يسكن أولاً حتى يحس بظهور الناطق فيه، فإذا أحس بذلك نطق قلبه ثم انتقل النطق القلبى إلى الذكر اللسانى، ثم يستغرق فى ذلك حتى يجد كل شىء منه ذاكرًا، وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة فى المصنف (١٦٩/٧) والطبرانى من حديث معاذ بإسناد حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٠) من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.   (٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) الفوائد، ص ١٩٧ .

أنواع الذكر:

ليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبى واللسانى، وذكر الله - عز وجل - يتضمن أمورًا، ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك كله يستلزم معرفته سبحانه والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله.

كذلك من الذكر الثناء عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم إلا بتوحيده سبحانه وتعالى.

وكذلك من الذكر ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه(١) .

فوائد الذكر وثماره:

وقد أورد الإمام ابن القيم - رحمه الله - فى كتاب (الوابل الصَّيِّب) فوائد عديدة للذكر نذكر بعضها:

١- (الذكر) يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، ويُرضى الرحمن عز وجل.

٢- (الذكر) يزيل الهم والغم عن القلب.

٣- (الذكر) يقوى القلب والبدن، وينور الوجه والقلب.

٤- أنه يجلب الرزق.

٥- أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضارة.

٦- أنه مورث المحبة التى هى روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

٧- أنه يورث ذكر الله عز وجل قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٢) .

٨- أنه يورث المراقبة حتى يدخل فى باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه.

٩- أنه يورث الإنابة، وهى الرجوع إلى الله عز وجل.

١٠- أنه يورث جلاء القلب من صدئه، وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر.

---

(١) الفوائد بتصرف يسير، ص ١٣٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢ .

١١- أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

١٢- أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.

١٣- أنه ينجى من عذاب الله تعالى.

١٤- أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين.

١٥- أنه أيسر العبادات، وهو من أجلّها وأفضلها.

١٦- أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه، الذى هو سبب شقاء العبد فى معاشه ومعاده قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وفوائد الذكر عديدة وفضائله أكثر من هذا بكثير(*) .

الصلاة على النبى ﷺ:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١] .

معنى الصلاة على النبى ﷺ:

قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء[٢] . وقال ابن عباس: يصلون يباركون[٣] .

وقال ابن القيم رحمه الله: الصلاة المأمور بها فيها - أى فى الآية المتقدمة - هى الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهى ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه(**) .

(*) ذكر الإمام ابن القيم في كتاب (الوابل الصيب) للذكر أكثر من سبعين فائدة فليرجع إليها (١/١٢٠) .

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .   (٢، ٣) ذكره البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الأحزاب.

(**) البحر الرائق فى الزهد والرقائق.

كيف نصلى على النبى ﷺ:

عن أبى مسعود الأنصارى قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن فى مجلس سعد ابن عبادة فقال له بشر بن سعد: أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ: «قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم»[١] .

فضل الصلاة على النبى ﷺ:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: أتيت النبى وهو ساجد فأطال السجود قال: «أتانى جبريل قال: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله شكرًا»[٢]

وعن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمى قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى آتٍ من ربى فقال: ما من عبد يصلى عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرًا» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، أجعل نصف دعائى لك. قال: «إن شئت» قال: ألا أجعل ثلثى دعائى لك؟ قال: «إن شئت» قال: ألا أجعل دعائى كله قال: «إذًا يكفيك الله هم الدنيا والآخرة»[٣] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من صلَّى علىَّ واحدة صلَّى الله عليه عشرًا»[٤] .



(١) رواه مسلم برقم (٤٠٥) .
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٧٣٥/١) (٢٠١٩) بسند صحيح.
(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٢١٥/٢) (٣١١٤) عن ابن عيينة وصححه الألبانى.
(٤) رواه مسلم (٤٠٨) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

الاستغفار

الاستغفار... هو طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى الغفور الرحيم الذى يقول فى كتابه العزيز: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1] .

ولما للاستغفار من الخير الكثير والثواب العظيم فقد أكثر رب العالمين من ذكره فى القرآن بصيغ متعددة.

فمرة يذكره بصورة الأمر قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] . ومرة يبين ثوابه العظيم فيقول سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3] .

ومرة يثنى على أهله كقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[4] .

ومن الأحاديث الشريفة التى تُرغب فى الاستغفار وسرعة العودة إليه سبحانه وتعالى قول النبى ﷺ:

١- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[5] .

٢- وعن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»[6] .

٣- ويقول رب العزة فى حديثه القدسى: «يا بن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتنى غفرت لك، يا بن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[7] .

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٢ .
(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠ .
(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧ .
(٥) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.
(٦) رواه البيهقى بإسناد لا بأس به فى شعب الإيمان (١/٤٤٠) (٦٤٨) .
(٧) رواه الترمذى وأحمد وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة.

٤- وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «قال إبليس: وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم.. فقال: وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى»(١) .

٥- وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارًا كثيرًا»(٢) .

هدى النبى ﷺ فى الاستغفار:

وكان رسول الله ﷺ يكثر من الاستغفار، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة يقول: «رب اغفر لى وتب علىَّ إنك أنت التواب الغفور»(٣) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»(٤) .

فهذا حال من غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بنا وقد أسرفنا كثيرًا؟! وعن النبى ﷺ قال: «إنه ليُغانُ على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة»(٥) .

سيد الاستغفار:

ويفضل للمستغفر أن يبدأ بالثناء على الله ثم يذكر ذنبه لربه ويسأله المغفرة لهذا، وهذا ما وضحه حديث رسول الله ﷺ.

فعن شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ، وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(٦) .

وروى عن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال: يا رسول الله، علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال: قل: «اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»(٧) .

(١) رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد. (٢) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقى.
(٣) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى. (٤) رواه البخارى (٦٣٠٧).
(٥) رواه مسلم (٢٧٠٢) . (٦) رواه البخارى (٦٣٠٦) . (٧) رواه مسلم (٢٥٠٧) .

ويستحب للمسلم حال استغفاره أن يقول: «أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه»، وهى أفضل صيغ الاستغفار. وقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «من قاله، غُفر له وإن كان قد فرَّ من الزحف»[1] .

الاستغفار وختام المجلس:

ويستحب للعبد أن يكون ختام مجالسه دائمًا بالاستغفار لما له من خير كثير فقد روى عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقالها فى مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه، ومن قالها فى مجلس لغو كان كفارة له»[2] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من جلس مجلسًا كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غُفر له ما كان فى مجلسه ذلك»[3] .

كلمات للصالحين فى الاستغفار:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فى كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبًا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[4] .

وقال الإمام على كرَّم الله وجهه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل وما هى؟ قال: الاستغفار. وقال رحمه الله: ما ألهم الله سبحانه عبدًا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

وقال قتادة رحمه الله: القرآن يدلكم عن دائكم ودوائكم، أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار.

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود وصححه الحاكم.

(٢) رواه النسائى والطبرانى ورجاله رجال الصحيح، والحاكم قال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه.
(٤) سورة النساء، الآية: ١١٠ .

وقال بعض العلماء: العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار. فعلى العبد أن يلزم الاستغفار وأن يعوِّد لسانه عليه كي يرزقه الله ثوابه العظيم وخيره الكثير، قال الحسن - رحمه الله -: أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم وعلى موائدكم وفى طرقكم وفى أسواقكم وفى مجالسكم، وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة.

القرآن الكريم

القرآن هو كلام الله المعجزُ المنزلُ على النبى محمد ﷺ، المكتوب فى المصاحف، المنقولُ بالتواتر المتعبد بتلاوته[1] .

فالقرآن الكريم هو كتاب الله المنزل ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام، وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور، وبه النجاة من الغرور، وفيه شفاء لما فى الصدور، ومَن خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم فى غيره أضلَّه الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير، لا تنقضى عجائبه، ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تجديد، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد، هو الذى أرشد الأولين والآخرين، ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ فكل من آمن به وفِّق، ومن قال به فقد صدق، ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز[2] .

والقرآن الكريم أعلى الذكر وأفضله ولتلاوته فضائل لا تحصى.

فضيلة تلاوة القرآن الكريم:

وردت أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ تبين لنا فضائل تلاوة القرآن قال ﷺ:

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن. (٢) إحياء علوم الدين (٢٧٢/١) .

«اقرؤوا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه، أما إنى لا أقول : ﴿الٓمٓ﴾ حرف ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر، فتلك ثلاثون»[١] .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه»[٢] .

وعن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو شاقٌّ له أجران»[٤] .

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن مثلُ الأترجة[٥] ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[٦] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل أتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[٧] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ فى المصحف»[٨] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٩] .

---

(١) صححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١١٦٤) .

(٢) رواه البخارى (٥٠٢٧) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٣١٩) .

(٣) رواه مسلم (٨٠٤) . (٤) رواه مسلم (٧٩٨) .

(٥) الأترجة: من فصيلة الحمضيات: طيب الرائحة. (٦) متفق عليه. (٧) متفق عليه.

(٨) حسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٨٩) .

(٩) رواه الترمذى (١٧٧/٥) (٢٩١٤) وقال: حديث حسن صحيح.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ فى المصحف»[1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[2] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبى ﷺ فسمعتُه يقول: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» قال: ثم مكث ساعة ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو غيايتان أو فرقان - من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول: هل تعرفنى فيقول ما أعرفك فيقول له: هل تعرفنى . فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا: فيقولان بمَ كسينا هذه؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال له: اقرأ واصعد فى درجة الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً»[3] .

القرآن الكريم خير جليس:

قال الإمام الشاطبى - رحمه الله:

وخيرُ جليسٍ لا يُمـــلُّ حديثُه ... وترداده تزداد فيـــــه تجمُّلا
وحيث الفتى يرتاعُ فى ظلماته ... مـن القبر يلقاه سـنًا متهلّلا
يُناشد فـى إرضائــه لحبيبه ... وأجدرُ بـــه سؤْلاً إليه مُوصَّلا
فيا أيها القارئ بـــه متمسكًا ... مُجِلاً له فـى كل حالٍ مُبَجِّلا
هنيئًا مريئًا والــداك عليهما ... ملابسُ أنوارٍ من التَّاجِ والُحلى

(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه أحمد فى مسنده (١٢٧/٣) (١٢٣٠١) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٢١٦٥) .
(٣) أخرجه أحمد فى مسنده (٣٤٨/٥) (٢٣٠٠٠)، وابن ماجه وقال البوصيرى: رجاله ثقات.

قال أبو أمامة الباهلى: اقرؤوا القرآن ولا تغرَّنكم هذه المصاحف المعلقة؛ فإن الله لا يعذب قلبًا هو وعاء للقرآن.

قال ابن مسعود: إذا أردتم العلم فانشروا القرآن، فإن فيه علمَ الأولين والآخرين.

وقال أيضًا: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله ﷺ وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله ﷺ .

وقال عمرو بن العاص: كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم، وقال أبو هريرة: إن البيت الذى لا يُتلى فيه كتاب الله - عز وجل - ضاق بأهله وقل خيرُه وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين.

الدعاء

الدعاء من أقوى الأسباب فى دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو عدو البلاء ومن أنفع الأدوية، يدفع البلاء ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن[1] .

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2] .

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾[3] .

وقال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4] .

وللدعاء منزلة كبيرة فى الدين فهو تحقيق للعبودية حيث يطلب العبد من مولاه وقد جعله النبى ﷺ هو العبادة. فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) بتصرف من الداء والدواء لابن القيم.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦ .
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٥ .

«الدعاء هو العبادة ثم تلا ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾»[١] .

وقال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[٢] .

وقال ﷺ: «لا تعجزوا من الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد»[٣] .

فالدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها.

مقامات الدعاء مع البلاء:

جاء فى كتاب الجواب الكافى للدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

ثانيها: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

ثالثها: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

وقد روى الحاكم فى «صحيحه» من حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فليقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة».

الدعاء والقدر:

وههنا سؤال مشهور، وهو: أن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بدٌّ من وقوعه، دعا به العبد أو لم يدعُ، وإن لم يكن قد قدر لم يقع، سواء سأله العبد أو لم يسأله.

فظنت طائفة صحة هذا السؤال، فتركت الدعاء، وقالت: لا فائدة فيه، وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم - متناقضون، فإن طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب!

---

(١) الحديث أخرجه أصحاب السنن والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه الترمذى (٥/٤٥٦) (٣٣٧٣) وقال الشيخ الألبانى: حسن.

(٣) رواه ابن حبان (٣/١٥٢) (٨٧١).

فيقال لأحدهم: إن كان الشبع والريّ قد قدرا لك فلا بد من وقوعهما، أكلت أو لم تأكل، وإن لم يقدرا لم يقعا أكلت أو لم تأكل.

وإن كان الولد قد قدر لك فلا بد منه، وطئت الزوجة أو الأمة أو لم تطأ وإن لم يقدر ذلك لم يكن، فلا حاجة إلى التزوج والتسرى، وهلم جرًا. فهل يقول هذا عاقل أو آدمى؟ بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التى بها قوامه وحياته، فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً.

والصواب: أن هذا المقدور قُدِّر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء فلم يقدر مجردًا عن سببه، ولكن قدر سببه، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، ومتى لم تأتى بالسبب انتفى المقدور، وهذا كما قدر الشبع والريّ والأكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه، وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال، ودخول النار بالأعمال، وهذا هو الحق، وهذا الذى حرمه السائل ولم يوفَّق له.

الدعاء من أقوى الأسباب: والدعاء من أقوى الأسباب فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة فى الدعاء كما لا يقال: لا فائدة فى الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال، وليس شىء من الأسباب، أنفع من الدعاء، ولا أبلغ فى حصول المطلوب.

الصحابة يستنصرون بالدعاء:

ولما كان الصحابة ﷺ أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم فى دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنصر به على عدوه، وكان أعظم جنديه وكان يقول لأصحابه: ولستم تُنصرون بكثرة وإنما تُنصرون من السماء، وكان يقول: (إنى لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمتم الدعاء فإن الإجابة معه).

وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من جود كفيك ما عودتنى الطلبا

فمن ألهم الدعاء فقد أريد الإجابة، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١] .

وهذا يدل على أن رضاءه فى سؤاله وطاعته، وإذا رضى الرب تبارك وتعالى فكل خير فى رضاه، كما أن كل بلاء ومصيبة فى غضبه.

وذكر أبو نعيم فى الحلية: «... إنى إذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت وليس لبركتى نهاية، وإذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، وإن اللعنة تبلغ منى الولد السابع»[٢].

وقد دلَّ العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم، على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها - على أن التقرب إلى رب العالمين، وطلب مرضاته، والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمته بمثل طاعته والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه»[٣] .

أوقات الإجابة[*] :

وإن كان الدعاء مستحبًا فى كل وقت فإن هناك أوقات خصصت بمزيد الإجابة لبركتها وشرفها على الله ومن هذه الأوقات:

١- ليلة القدر قال ﷺ : «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٤] .

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠ .

(٢) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء (٤٢/٤).

(٣) نقلاً عن الداء والدواء للإمام ابن القيم.

(٤) متفق عليه.

(*) ذكر الشوكانى فى تحفه الذاكرين أكثر من هذا فليرجع إليه.

٢- يوم عرفة: قال ﷺ: «خير الدعاء يوم عرفه»[١] .

٣- شهر رمضان لقوله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم»[٢] .

٤- ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه: «إن فى ليلة الجمعة ساعة الدعاء فيها مستجاب»[٣] وقال ﷺ عن يوم الجمعة: «فيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئًا إلا أعطاه ما لم يسأل حرامًا»[٤] .

٥- عند صياح الديكة: لقوله ﷺ: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا»[٥] .

٦- جوف الليل ونصفه الثانى وثلثه الأول وثلثه الأخير. فعن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! أى الدعاء يسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة»[٦]

وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فى الليلة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك فى كل ليلة»[٧] .

وروى عن البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعونى فأستجيب له، ومن يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له».

٧- عند نزول الغيث - أى المطر - وعند النداء بالصلاة- قال ﷺ: «ثنتان لا يُردان؛ الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا - وزاد أبو داود - وتحت المطر»[٨] .

٨- فى السجود قال ﷺ : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء». أخرجه مسلم.

---

(١) رواه الترمذى وحسنه. (٢) رواه أحمد والترمذى وحسنه. (٣) رواه الحاكم وصححه.
(٤) رواه أحمد وقال العراقى: إسناده حسن. (٥) متفق عليه.
(٦) رواه الترمذي (٥/٥٢٦) وحسنه.
(٧) رواه مسلم (٧٥٧). (٨) رواه أبو داود وابن حبان والحاكم وصححاه.

وأخيراً : آداب الدعاء[*] :

وللدعاء كى يجاب آدابٌ ينبغى للداعى أن يراعيها وهى كثيرة منها :

١- أن يأكل من حلال ويتجنب الحرام مأكلاً ومشربًا، جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال: قال ﷺ : «يا أيها الناس، إن الله طيب، لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1] وقال : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[3] .

٢- الإخلاص لله تعالى قال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[4] .

٣- استقبال القبلة وقد استقبلها النبى ﷺ فى دعائه فى أكثر من موطن.

٤- الثناء على الله تعالى لقول النبى ﷺ: «ثم ليثنِ على الله بما هو أهله».

٥- الصلاة على النبى ﷺ لقوله ﷺ : «وليصلِّ على النبى».

٦- التأدب والخشوع والمسكنة.

٧- أن يسأله بأسمائه وصفاته قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[5] .

٨- أن يخفض صوته لقول النبى ﷺ : «أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا»[6] .

٩- بسط يديه ورفعها حذو منكبيه لقوله ﷺ: «إن الله حيى كريم يستحى إذا رفع الرجل يديه إليه أن يردهما خائبتين»[7] .

(*) يراجع تحفة الذاكرين للشوكانى. (١) سورة المؤمنون، الآية: ٥١ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢ . (٣) رواه مسلم (١٠١٥) .
(٤) سورة غافر، الآية: ١٤ . (٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ . (٦) رواه الشيخان.
(٧) رواه أبو داود والترمذى والحاكم قال: صحيح على شرط الشيخين.

١٠- الإلحاح فى الدعاء قال ﷺ: «... أما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقَمِن أن يستجاب لكم»(١) .

١١- لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم لقوله ﷺ : «يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم ولا قطيعة رحم»(٢) .

التوبة

قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣) ، قال ابن كثير – رحمه الله-: هذه الآية دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر. فدعا الله العصاة إلى التوبة مهما كانت ذنوبهم وكذلك دعا المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤) ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾(٥) ، فالله سبحانه بهذه الآيات الكريمة دعا الجميع للتوبة والأوبة.

وقد كان رسول الله ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه كل يوم وليلة. فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إنى لأستغفر الله، وأتوب إليه فى اليوم، أكثر من سبعين مرة»(٦) .

وعن الأغر بن يسار المزنى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة»(٧) .

الله يفرح بتوبة العبد:

عن أبى حمزة أنس بن مالك الأنصارى رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ قال: قال

(١) رواه مسلم (٤٧٩) . (٢) رواه مسلم (٢٧٣٥) . (٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣ .
(٤) سورة النور، الآية: ٣١ . (٥) سورة التحريم، الآية: ٨ . (٦) رواه البخارى (٦٣٠٧) .
(٧) رواه مسلم (٢٧٠٢) .

رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة»[1] .

وفى رواية لمسلم: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها، وقد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»[2] .

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[3] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[4] .

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[5] .

فهذه الأحاديث وغيرها إنما تزرع في القلب الرجاء فى الله، بحسن التوبة والرجوع إليه.

شروط التوبة:

قال الإمام النووى - رحمه الله - قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يُقلِّع عن المعصية.

الثانى: أن يندم على فعلها.

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم (٢٧٤٧) . (٣) رواه مسلم (٢٧٥٩).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٣)، وأحمد فى مسنده (٤٢٧/٢) .

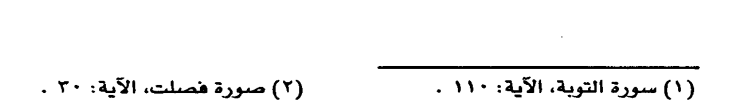
(٥) رياض الصالحين، (ص ٩) .

الثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه..» .

علامات صحة التوبة:

وللتوبة النصوح الصادقة علامات: كأن يندم العبد وينخلع قلبه خوفًا على قدر عظم الجناية وصغرها قال تعالى: ﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[1] قال ابن عُيينه: تقطعها بالتوبة وأيضًا، أن يكون العبد بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها، فهو فى إقبال على الطاعة فى انصراف عن المعاصى فى سعادة وطمأنينة.

وأيضا أن يَزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل تقبض روحه: ﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2] .



(١) سورة التوبة، الآية: ١١٠ .

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠ .

خاتمة

.. وبعد ..

سَابق إلى الخيرِ وبادرِ به	فإنَّما خلفك مــا تعلــم
وقدِّم الخير فكل امــرئٍ	على الذى قدمه يقـــدم

فاحرص أيها المسلم، وأيتها المسلمة على عمل الخير دهركم كله والتماس طرقه، فقد قال أبو الدرداء: «من يتحرى الخير يعطه ومن يتوقَّ الشر يوقه» وقالوا فى النصائح: «تعودوا الخير فإنما الخير بالعادة».

وكذلك فلنحرص على اغتنام هدوء القلب ونشاط العبادة فقد قالوا: إذا فتح لأحدكم باب الخير فليسرع إليه فإنه لا يدرى متى يغلق عنه، ولنحافظ على خصال الخير فقد قال الإمام على - كرم الله وجهه - فى خصال الخير: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا.

أولها: من عرف الله فأطاعه.

الثانية: من عرف الشيطان فعصاه.

الثالثة: من عرف الحق فاتبعه.

الرابعة: من عرف الباطل فاجتنبه.

الخامسة: من عرف الدنيا فأعرض عنها.

السادسة: من عرف الجنة فطلبها»[1] .

وليعلم العبد أن الخير الحقيقى هو ما ينفعه فى آخرته فقد جاء فى دلائل النبوة للبيهقى عن أنس بن مالك قال: خرج رسول الله ﷺ فى غداة باردة والمهاجرون والأنصار يحفرون الخندق بأيديهم فقال:

«اللهم إن الخير خير الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة».

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين، (١/١٧) .

فمن اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن أشفق من النار لهى عن الشهوات. والمؤمن كما قال عمر رضي الله عنه: وقاف يمضى عند الخير ويقف عند الشر.

فهذه بعض طرق الخير ذكرتها بإيجاز حرصًا على الإفادة ومخافةً من السآمة وأنا لا أدعى أننى استقصيت كل طرق الخير فى هذا الكتاب فهذا أمر يطول، ولكن الهدف الحقيقى هو أن أضع أيدى إخوانى على هذه الطرق التى ترضى الله ورسوله. وهناك كثير من طرق الخير يمكن إضافتها لما ذكر فالدين كله خيرٌ والحمد لله . ونحن لا نزعم الكمال فإنه مما اختصه الله لنفسه ولكنه جهد المقل. ورحم الله من أهدى إلينا عيوبنا بالنقد الهادف البناء.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح والخير الذى لا ينقطع ثوابه.

والله ورسوله أعلم، وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى عفو ربه
محمد الدسوقى محمد إبراهيم
المدرس بالأزهر الشريف

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الفصل الخامس

الفصل السادس